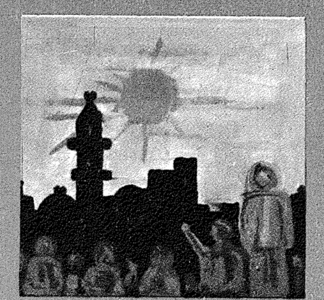
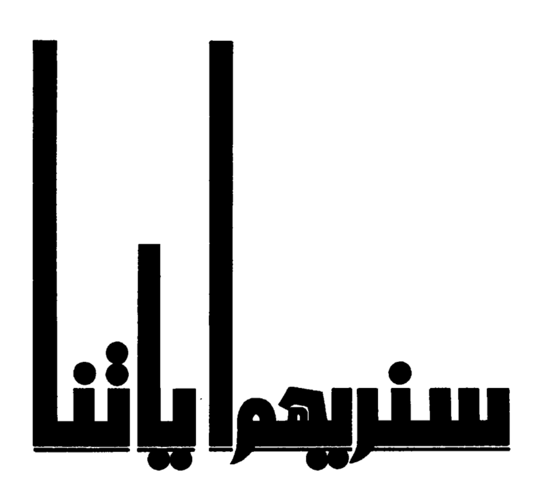
الدكتور أحمد شوقي إبراهيم



سنريهم آياتنا

أسامة عيانش

الدكتور أحمد شوقي إبراهيم





مؤسسة الصباح
نشر وتوزيع
الكويت ص.ب. ٢١٨٥٧ - الصفاة ٤١ - تلفون ٢٣٧١٢٢
تلكس: ٢٤١٣٥ تلكس - كويت - برقياً: [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ".

صَدَقَ اللهُ العَظِيمْ

الدكتور أحمد شوقي إبراهيم



الاهـــداء

الى كل متعلم ومثقف في كل مكان ..
الى كل شاب وفتاة من الجيل الجديد ..
الى كل من يستمع الى نظريات الفلسفات المادية الجدلية الخاطئة ..
الى كل من في قلبه أدنى شك في أن القرآن من عند الله
الى كل انسان مهما كانت عقيدته بعيدا عن الجمود والتعصب ..
الى كل من ينتصر للحق ويؤمن بالدليل العلمي ويقتنع بالبرهان المنطقي ..
الى كل من له فكر متفتح .. وعقل واع .. وفهم سليم
الى كل هؤلاء جميعا
اهدي هذا الكتاب

دكتور احمد شوقي ابراهيم



كلمة الاستاذ الشيخ عبد الله النــوري

« بسم الله الرحمن الرحيم »
« ما فرطنـــا في الكتـــــاب مـــن شيء »

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

وبعـــد :

كنت في خلال شهر مايو ١٩٧٨م أسمع صباح كل يوم أحاديث اذاعية للدكتور / أحمد شوقي ابراهيم ، موضوعها « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

تكلم فيها عن الكثير من آيات القرآن وعلاقاتها بالطب الانساني فذكر مثلا غذاء الانسان في الآية الكريمة : ــ

« فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنـــا الارض شقا » وفسره علميا بما يحتاجه الانسان من ماء وغذاء مقدرا ومقررا ومقرونا بقوله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

وذكر النحل وعسل النحل واختلاف ألوانه ، وأنه كما قال جل جلاله فيه شفاء للناس وضرب المثل لأمراض كثيرة يشفيها العسل ، ثم ذكر مـــا للعسل من منافع لا يستفيد منها غير الانسان .

ثم فسر طبيا الوحي الذي أوحاه الرب جل جلاله الى النحل : « ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا » .

وذكر حواس الانسان وحكمة الباري عز وجل عندما يذكر الحواس في الكتاب العزيز يقدم السمع عليها دائما ذلك أن السمع هو أول الحواس عملا في جسم الانسان . وأن الطفل يسمع قبل أن يبصر وأنه يسمع في الايام الاولى من عمره .

وفسر الآية الكريمة من سورة الواقعة : ــ

« أفرأيتم الماء الذي تشربون .. » تفسيرا علميا دقيقا دالا على قدرة من كون المزن من البحر ، ففصل الماء بخارا عذبا من ملح أجاج لتبقى الحياة قائمة على الارض تعمرالارضوتحيي النبات . وكيف يزجي الله السحاب من هذا البخار ثم يؤلف بينه ثم يجعله يخرج من خلاله الودق يصب مــــن السماء صبا فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، فـــاذا أنزلــه على الارض اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

وكيف اشتغلت الطبيعة بقدرة خالقها بكهربية البرق الذي يكاد يخطف الابصار ، وبرياحها التي تلقح هــذه السحب باجتمـــاع النيتروجـــين

والاوكسجين فينزل البخار ماء يحيا به كل شيء كما قـــال جل جلالــه :
« وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

يحيى به الحيوان والنبات بل وتزدان به الحياة .

وقــد اجتمعت بالدكتور أحمد شوقي ابراهيم مرات عديدة وكنت في كل اجتماع اشير عليه بجمع هذه الكلمات في كتاب ينفع القارىء فيزداد ايمان المؤمن بما يقرأ وقد يعتبر من ضعف ايمانه فيقوى أو يهدي به الله من شاء الى سبل السلام .

والرسول صلى الله عليه وسلم قال : (ولان يهدي الله بك رجلا خير مما طلعت عليه الشمس) .

وها هو الكتاب « سنريهم آياتنا » .. يهديه مؤلفه الى المكتبة الاسلامية ككتاب ديني يقرأ المسلم فيه بعض آيات الكتاب المبين الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها مفسرة بعبارات سهلة في القـــراءة سلسلة في التعبير لا تعقيد فيها ولا تقييد ولا تطويل يمل ولا تقصير يخــل .
وقديما قال العرب خير الكلام ما قل ودل .

ويهديه الى المكتبة العلمية ككتاب طب شرح فيه للقارىء ما علمـــه الاسلام من صفات الانسان من نشاته ومم خلق حتى نهايته يوم يموت وما بين ذلك وماذا يضره وماذا ينفعه قبل ان يعرفه من سموا انفسهم بالعلماء المكتشفين والخبراء المختصين .

ولقد علمت أن الكثير من المستمعين كانوا يترقبون البرنامـــج الاذاعي للدكتور / أحمد شوقي ابراهيم . وأسفوا عندما انتهى حديثه وتمنى الأكثر منهم لو أن الدكتور عاد الى مثل هذا البرنامج أو أعاده .

يهدي الدكتور أحمد شوقي ابراهيم كتابه هذا كدعوة اسلامية للناس جميعا ، فالمؤمن يزداد بقراءته يقينا وايمانا ويقول : « رب زدني علما » .

وربما فتح لغير المؤمن بابا الى الايمان بالله ، واعتقـــادا بان القرآن من عنــد الله .

والحقيقة أن القرآن كتاب علم ومعرفة شاملة لا يعجزه من شيء في السماوات والارض .

وصدق الله العظيم القائل : « ما فرطنا في الكتاب مــن شيء .. »
فالقرآن كتاب حياة ومعرفة .. علم تفسيره من علم ، وزاده العلم ايمانا ، وفوق كل ذي علم عليم .

عبد الله النوري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

زعم أعداء الدين في الماضي ، ولا يزال تلاميذهم ينقلون عنهم الى اليوم ، أن الدين لا يؤيد العلم وأن العلم لا يؤيده .. وأنه أفيون الشعوب ..

ولقد أخطأوا في كل ذلك خطأ مبينا .. فقد بنوا أفكارهم الخاطئة على دراستهم للكتب الدينية والعقائد الكهنوتية التي كانت في أوروبا في عصرهم .. ومن سوء حظهم أنهم لم يدرسوا القرآن .. وظنوه كتابا من تلكم الكتب والتراجم التي اطلعوا عليها ولم يقتنعوا بها .. وبنوا اعتقادهم عليها ، وعلى ما حدث بينهم وبين رجال الكهنوت من عداء ..

ستتحدث في هذا الكتاب من منطلق علمي صرف عن أخطاء هؤلاء .. ونثبت بالدليل العلمي ، والبرهان المنطقي أن القرآن هو الحق .. وأنه من عند الله .

إن بالقرآن الكريم من الحقائق العلمية ما استطعنا أن نتوصل إلى فهمه في هذا القرن فقط . بل إن بالقرآن من الحقائق الكونية والعلمية ما لم نستطع أن نصل الى فهمه إلا منذ سنوات معدودات فحسب مثل الحقائق العلمية الجديدة عن الجبال وعلوم البحار وحركة النجوم والفضاء الكوني وعلم الأجنة وعلم الوراثة وغير ذلك .. مما يقوم دليلا على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عند بشر .. وانما هو من عند الله تعالى ..

ومهما أوتينا من علم فلن نستطيع أن نصل الى كل ما في النص القرآني من علم فالعلم الالهي لا يمكن أن يحيط به الانسان أبدا .. كما قال الله تعالى « **وما أوتيتم من العلم الاّ قليلا** » .. ولقد نزل القرآن وفيه كل الحقائق مصداق قوله جل وعلا « **ما فرطنا في الكتاب من شيء** » .. وقوله تعالى « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** » . وكل عصر من العصور يستطيع أن ينهل من علوم القرآن ما يتيح له علمه ، وما يتسع له فهمه .

وهكذا نزل القرآن الكريم نورا وهدى لكل عصر من العصور حتى قيام الساعة .. مما جعل الاسلام رسالة متجددة على مر العصور والأزمان .

ولما كانت العلوم البشرية قد قصرت عن فهم كثير مما جاء بالقرآن الكريم في العصور الماضية .. فقد كان الكثير من المفسرين اجتهادات في تفسير الآيات الكونية ، ولكن بعضها لم يكن تفسيرا صحيحا .. مثل ذلك الحقائق العلمية الطبية التي لم يعرفها العلم البشري الا في العصر الحديث فحسب .

والتفسير العلمي واجب على كل انسان يستطيع أن يدلي فيه بدلوه .. دفاعا عن القرآن أمام دعاوي الأمطار الخاطئة التي تتهمه جهلا وغرورا أنه لا يؤيد العلم وأن العلم لا يؤيده .. كما أن الله تعالى أمرنا بالتفكير في القرآن والتدبر في آياته كما قوله تعالى « **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** » وقوله سبحانه « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** » وقوله تبارك وتعالى « **ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » وقوله جل وعلا « **أولم يتفكروا في أنفسهم** » .

على أننا عندما نتكلم في التفسير العلمي لأي نص قرآني لا ينبغي أن نعتبر أي تفسير علمي تفسيرا حتميا للنص القرآني الكريم .. فان النص الكريم قد يعني ما توصلنا اليه من فهم .. وقد يعني معنى آخرا لم تصل اليه أفهامنا وعلومنا اليه بعد .. وربما توصلت الى فهمه عصور ستأتي من بعدنا يتقدم علمها أكثر منا مما يتيح لها فهما أكثر من فهمنا .. كما أن النظريات العلمية قابلة للتغيير والتبديل ، ومتعرضة للخطأ والصواب .. فليس صحيحا اذن أن نلتمس للنص القرآني الصادق المعجز الثابت أبدا ، تصديقا من تكلم النظريات العلمية الحديثة ، المتأرجحة بين الخطأ والصواب حينا والمتعرضة للتغيير والتبديل في معظم الأحيان ..

وكل ما نهدف اليه في هذا المجال هو أن نوسع من مداركنا ونزيد من تصوراتنا لعلنا نسمو الى مستويات من العلم أعلى تتيح لنا رؤية المزيد من العلم الالهي .. ولقد وعد الله تعالى عباده بأن يؤتيهم من العلم ما يتيح لهم فهم بعض ما

في القرآن من بيان ، كل عصر حسب فهمه وعلمه .. مصداق قوله تعالى « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه » وقوله جل وعلا « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

هذه محاولة لتفسير بعض الآيات العلمية في القرآن الكريم .. فاذا أصبت فمن الله وإذا أخطأت فمن نفسي . وما توفيقي الا بالله .

دكتور احمد شوقي ابراهيم

البابُ الأوَّل

الغـــــذاء

غـذاء الإنسان

يحتاج جسم الانسان الى غذاء يستمد منه أسباب الحياة . غذاء يحتوى على كل ما تطلبه خلايا الجسم من المواد وهي الماء والبروتينات والدهنيات والنشويات والأملاح والفيتامينات . وكل ذلك متوفر للانسان في الأرض . فماء الشرب يأتي من المطر . والمطر هو المصدر الأصيل لماء الشرب من أي مصدر كان . كذلك تخرج الأرض الحب الذي يصنع منه الانسان خبزه . وتخرج الأرض الخضر والفاكهة والزيتون وغير ذلك مما يحتوي على المواد الغذائية المطلوبة للجسم . وجاء ذكر طعام الانسان في القرآن الكريم في وقت لم يكن يعرف الانسان ما يطلبه الجسم وما لا يتطلبه من مواد اقرأوا سورة عبس (٢٤-٣٢) قول الله تعالى **«فَلْينظُرِ الإنسانُ إلى طَعامِهِ إنا صَبَبْنا الماءَ صبًّا . ثمَّ شَقَقْنا الأَرْضَ شقًّا . فأنْبَتْنا فيها حبًّا . وعِنَباً وقَضْبا . وزَيْتوناً ونَخلا . وحَدَائِقَ غُلْبا . وفَاكِهةً وَأَبًّا . مَتَاعاً لكُم ولأنْعامِكُم »** .

وجسم الانسان العادى يحتاج من ١٥٠٠ الى ٣٠٠٠ وحدة حرارية في اليوم وقد يحتاج إلى أقل من ذلك أثناء الراحة التامة والى أكثر من ذلك اذا كان يبذل مجهودا عضليا كبيرا . ويجب أن يتناول الانسان من الطعام ما يعطيه الكمية اللازمة من الوحدات الحرارية . أما إذا أسرف وتناول أكثر مما يحتاج جسمه حدثت له التخمة . وما يزيد عن حاجة الجسم يتحول الى دهن . فتحدث السمنة في الجسم وتجر اليه أمراضا عديدة . منها مرض السكر ، وارتفاع ضغط الدم ، وأمراض المرارة والأوردة وغير ذلك .

والاسراف في شرب السوائل له أخطاره كذلك لأن ميزان السوائل في الجسم ميزان دقيق وحساس والاسراف في تناول السوائل يجعل الجسم يدافع عن نفسه باخراج الكميات الزائده من السوائل فيه عن طريق الافرازات في الجسم ... ذلك قد لا يكون كافيا أحيانا وحينئذ يحدث خلل في توازن سوائل الجسم ويجر ذلك على الجسم أمراضا ومتاعب .

اذن فالاسراف في تناول الطعام والشراب فيه ضرر أكيد للجسم.وليس الاسراف معناه الاستكثار فقط فقد يكون الاسراف أيضا في التقليل . فاذا أسرف الإنسان في تقليل كمية الطعام الذى يتناوله يصاب بالضعف والهزال والمرض ، وإذا أسرف في تقليل ماء الشرب تنكمش خلايا الجسم ويقل نشاطها ويحدث ضعف ومرض . لذلك نفهم أن الاسراف في الطعام والشراب سواء الاستكثار منه أو النقصان خطر كبير وضرر بالغ لجسم الانسان . وقد حذر الله تعالى الانسان من هذا الأمر في سورة الأنعام (١٤١) قال الله تعالى « **وهو الذي أنْشأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وغَيْرَ مَعْروشَاتٍ و النَّخْلَ والزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ والزَّيْتونَ والرُّمَّان مُتَشابِهاً وغَيْرَ مُتَشابِه كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إذا أثْمَر وأتُوا حقَّه يَومَ حَصَادِهِ ولا تُسْرِفُوا إنّه لا يُحِبُّ المُسْرِفين** » وفي سورة الأعراف(٣١) يحذر الله تعالى الانسان من الاسراف في الأكل والشرب قال الله تعالى : « **يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتكُم عِنْد كلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إنّه لا يُحِبُّ المُسْرِفين** » .

والقيمة الغذائية تختلف كثيرا بين أنواع الأطعمة فبينما يوجد نوع من الغذاء ذو قيمة غذائية عالية يوجد نوع ذو قيمة غذائية قليلة . ولنضرب بالخضروات مثلا فقيمتها الغذائية قليلة بالنسبة لحجمها ووزنها فكيلو الخيار أو القثاء مثلا يعطي نحو ٥٠٠ وحدة حرارية وكيلو البصل يعطي مثل ذلك أما الماء فلا يعطي أية قيمة حرارية للجسم فالماء وان كان ضروريا للجسم إلا أن قيمته الغذائية صفر .. أما كيلو السكر فيعطي ٤٠٠٠ وحدة حرارية وكذلك اللحوم وكيلو الدهن يعطي ٩٠٠٠ وحدة حرارية . إذن ففي مجال الحديث عن القيمة الغذائية لأي طعام ليست العبرة بالوزن أو الحجم أو الطعم . وقد يتناول الانسان طعاما كثيرا قليل القيمة الغذائية فلا يفيد الجسم كثيرا وقد يتناول طعاما قليلا عالي القيمة الغذائية فيعطي الجسم حيوية لا يعطيها ذلك الطعام الكثير .

ولم يدرك الانسان تلك الحقيقة العلمية الا من خلال العلم الحديث .

ولكن القرآن الكريم بين ذلك في قصة المن والسلوى وكان عسلا وطيرا سمينا وهي اطعمة عالية القيمة الغذائية ولكن لغباء القوم وجهلهم طلبوا طعاما آخر ذا قيمة غذائية أقل كثيرا مما هي في المن والسلوى وبذلك طلبوا الدنية وقد أعطاهم الله العلية وهم لا يشعرون.من أجل ذلك غضب الله عليهم واستمعوا معي الى قول الله تعالى في سورة البقرة (٥٧) « **وظَلَّلنَا عَلَيْكُمُ الغمامَ وأنْزَلْنا عليْكُمُ المَنَّ والسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ ما رَزَقْناكُم ومَا ظَلَمُونَا ولكن كانوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمون** » وفي نفس السورة (٦١) يعقب الله على هذا الموقف فيقول « **واذا قلْتم يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلىَ طَعَامٍ واحدٍ فادعُ لنا ربَّك يُخرج لنا مما تُنْبِتُ الأَرْضُ من بَقْلِها وقِثَّائِها وفُومِها وعَدَسِها وبَصَلِها قال أتَسْتَبْدلون الذي هو أدْنَى بالذي هو خَيْر اهبِطُوا مِصرا فإن لَكُم ما سأَلْتُم وضُرِبَتْ عَلَيْهم الذلّة والمَسْكَنة وباءوا بِغَضَبٍ منَ الله** » وهكذا يعلم الله عباده ويدلهم على الخير ولكن كثيرا منهم يستقبل ذلك التوجيه الالهي العظيم بالجهل والجدل والغرور .



ما يُحَرَّم عَلى الإنسَان منَ الطعَام

اذا أردنا أن يكون طعامنا صحيا يجب أن يكون خاليا من الجراثيم الضارة والطفيليات التي تصيب الانسان بالأمراض وأن يكون خاليا من المواد الكيماوية والخمائر الضارة أيضا . ولعل أخطر الأشياء التي تتخذ طعاما في بعض الأحيان هي لحم الحيوان الميت . ذلك لأن جسم الحيوان يتحلل بعد موته وتتكاثر الجراثيم فيه . ووجود الدم بالجسم يساعد على ذلك . وكلما مر على موت الحيوان وقت أطول كلما زاد إمتلاء الجسد بالمواد السامة . والدم لا يصلح أن يكون طعاما . فكل المواد الضارة بالجسم يحملها الدم الى الكبد والكلى لتفرز خارج الجسم .

أما لحم الخنزير فلم يكن الانسان يعلم عن مضار لحمه شيئا الا من خلال تحريم القرآن الكريم له . ولم يكتشف العلم شيئا عن مضار لحم الخنزير الا في العصر الحديث . إن أي حيوان يبني جسمه من المواد التي يتناولها فاذا علمنا أن الخنزير هو أقذر الحيوانات . ويعيش في أقذر البيئات . ويتناول أقذر الأشياء طعاما . لأدركنا أن الطفيليات المختلفة لن تجد أفضل من جسد الخنزير لها مرتعا خصيبا . وفضلا عن كل ذلك فان لحما كهذا تعافه النفس . وجسم الخنزير يحتوي على أعلى نسبة من الأملاح . كما أنه الحيوان الوحيد من بين الحيوانات جميعا الذي ينقل أخطر أنواع الديدان الشريطية . وتظل حويصلات هذه الدودة في لحم الخنزير سنوات طويلة وينتقل الى جسم الانسان اذا أكل هذا اللحم ويحدث له مرضاً وبيلاً.[1]

[illegible] خطر لحم الخنزير المصاب يمكن تفاديه بالطبخ الجيد . وللرد على ذلك نقول أن ذلك لا يحدث دائما فكثير من شعوب الأرض لا تأكل اللحم بهذه الطريقة . وحتى لو طبخ لحم الخنزير جيدا فلا نضمن أن لحم الخنزير لا يحتوي على أخطار أخرى لم يكتشفها العلم بعد . ان القرآن الكريم حرم أكل لحم الخنزير ومر على الانسان حين طويل من الدهر لم يكن يعلم سببا لذلك التحريم . حتى استطاع أخيرا أن يكتشف جانبا من الأخطار في

(1) Manson,s Tropical Medicine (Manson - Bahr)

لحم الخنزير ومن المحتمل جدا أن تكون هناك أخطار أخرى لم يكتشفها العلم بعد . إن ما اكتشفناه من خطر في لحم الخنزير ليس كل شيء وانما هو بداية الخيط واذا كنا عرفنا خطرا يكمن في لحم الخنزير فما خفي علينا ربما كان أعظم . وشيء لم نعرف بعض خطره الا بعد مرور قرون طويلة في البحث انما هو شيء ينبغي أن نحذر منه ونتوجس ونتوقع منه شراً .

اذن في أكل الميتة خطر واضح . وفي تناول الدم طعاما ضرر أكيد . وفي لحم الخنزير اضرار عرفناها واضرار أخرى لا ندري عنها شيئا . وفي القرون الماضية لم يكن العلم يعرف شيئا عن كل ذلك أبدا .

وفي وسط هذا الجهل أشرق نور العلم الالهي في القرآن الكريم يعلم الانسان ما لم يكن يعلم . ويرشده الى ما يفيده . ويحرم عليه ما يضره . واقرأ قوله تعالى في سورة البقرة (١٧٢–١٧٣) « **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا كُلُوا من طَيِّبَاتِ ما رَزَقْناكُمْ واشكُروا لله إن كُنْتُمْ إيّاه تَعْبُدون . إنما حرَّم عليْكم الميتَةَ والدَّم ولَحْمَ الخِنْزير وما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ الله فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْر باغٍ ولا عادٍ فلا إثْمَ عليه إنَّ الله غَفور رحيمْ** » أما معنى ما أهل به لغير الله أي ما توجه به الى غير الله وهذا نفي للطهارة الروحية ومناقضة للايمان بالخالق تعالى فان أول واجبات الايمان بالله تعالى أن يهل باسمه جلا وعلا في كل عمل وحركة وما لم يتوجه بشيء ما ويهل به له تعالى فقد انتفت عن ذلك الطهارة والنقاء .

اذن فالله تعالى يعلمنا أن نتجنب النجاسة بكل أنواعها المادية منها والروحية أيضا فقد بين لنا القرآن الكريم أنواع الميتة في سورة المائدة(٣) قوله تعالى :

« **حُرِّمَت عليكم الميتَةُ والدَّمُ وَلَحْمُ الخِنزيرِ وما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ به والمُنْخَنِقَة والمَوْقُودَة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلاّ ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق** » وفي سورة النحل(١١٥) قال الله تعالى « **إنَّما حرّم عليكُم الميتَةَ والدَّمَ ولحْمَ الخِنْزيرِ وما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ به فَمَنْ اضْطُرَّ غَيرَ بَاغٍ ولا عادٍ فإنَّ الله غفورٌ رحيم** » وهكذا فكل ما حرم

الله تعالى وأمرنا أن نتجنّبه أثبت العلم الحديث أن به ضررا أكيدا . فلماذا يتجه الانسان الى ما يضره وقد وفر له الخالق الكثير من الطيبات من الـرزق والأطعمة المطهرة النقية المفيدة لذلك استهلت الآية بسورة البقرة بقوله تعالى « **يا أيُّها الذين آمنوا كُلُوا من طَيِّباتِ ما رَزَقناكُم** » . وبعد ذلك ذكر ما حرم على الانسان من طعام .



عســـل النـحـل

عسل النحل مادة غذائية معقدة التركيب . فيه أكثر من خمسة عشر نوعا من السكاكر وأهمها سكر الفاكهة (فراكتوز) الذي يكون ٤٥ ./٠ من سكر العسل أما سكر العنب (الجلوكوز) فهو يشكل ٣٠ ./٠ منه . وسكر القصب (سكروز) يوجد فقط في ٤ ./٠ من هذا[1] العسل . كما يحتوي عسل النحل على أحماض عضوية منها حامض الليمونيك والنمليك والترتريك وجلوتميك وغير ذلك . وفي عسل النحل عدد من الخمائر أهمها خمائر الفوسفاتيز والليبيز والكتليز وهي خمائر مفيدة للجسم كما يوجد في العسل العديد من الفيتامينات بتركيز قليل . بالاضافة الى أملاح معدنية مثل الكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والمنغنيز والفسفور واليود والكبريت والنحاس والكروم وغير ذلك من الأملاح الضرورية لجسم[2] الانسان.

وفي سنة ١٩٥٠ استطاع العلماء أن يكتشفوا وجود مضادات حيوية في عسل النحل تقتل الجراثيم . في حين أن معظم المواد السكرية تساعد على تكاثر الجراثيم نجد أن عسل النحل يقتلها . فقد ثبت علميا أن معظم الجراثيم تموت إذا وضعت في العسل في أوقات متفاوته في ساعات معدودات . ومن هذه الجراثيم الذي يقتلها العسل الجراثيم العنقودية التي تسبب الالتهابات المتقيحة والجراثيم التي تسبب النزلات المعوية والدزنتاريا والتيفوئيد وما شابهها[3].

وبالرغم من أن المضادات الحيوية مثل البنسلين والاكرومايسين والاستربتومايسين وغيرها لا تقتل الفطر والعفن . نجد أن عسل النحل يقتلها . اذن فالمضادات الحيوية الموجودة في العسل ليست على شاكلة المضادات الحيوية التي نعرفها ونستعملها في علاج الالتهابات وحتى الآن لم يعرف العلم بالتأكيد تلك المادة أو المواد التي تقتل الجراثيم وذكر بعض العلماء في امريكا سنة ١٩٦١ أن تلك المادة هي الماء الاكسجيني ولكن بعض الميكروبات التي يقتلها العسل وجد أن الماء الاكسجيني لا يؤثر فيها كثيرا اذن فلا بد أن هناك ما هو أقوى من

(١) العسل لمحمد ن. ا. الدقر

(٢) Honey for Health (Cecil Tonsley)

(٣) كتاب الطب الشعبي للدكتور جارفيس تعريب أمين رويحة

الماء الاكسجيني في عسل النحل من أجل هذا السبب فإن عسل النحل يستعمل كعلاج لكثير من الأمراض وأهمها الحميات المعوية وذلك في مراكز طبية في أنحاء متعددة في العالم .

ويقول كتاب مفكرة النحال في موسكو سنة ١٩٧٠[1] أن العسل مقو عام وقد وجد أنه مهدئ للجهاز العصبي ويعالج التوتر والارق وأمراض المسنين وسكر الفاكهة الذي يشكل ٤٥ ./. من سكر العسل لا يرفع مستوى السكر في الدم بالقدر الذي يرفعه سكر القصب ، من أجل ذلك يفضل استبدال السكريات في طعام مرض السكر بعسل النحل ولكن بدون اسراف

ويستعمل العسل في علاج أمراض كثيرة في عدة دول أجنبية فيستعمل في علاج تصلب الشرايين وجروح الجلد المتقيحة. وفي مجلة الصحة الروسية سنة ١٩٦٣ حديث طويل عن علاج أمراض الجهاز الهضمي وقرحة المعدة وعسر الهضم وهبوطه ، ووظائف الكبد وبعض الاطباء يستعملونه في علاج الادمان على الخمر ويقولون أنه يقوي مناعة الجسم ضد المرض تلك المناعة التي تدهورت من تأثير الخمر .

والحديث عن عسل النحل لا ينتهي لأن العلم الحديث لم يصل الى كل مكوناته بعد ولم يكتشف كل أسراره ويكفينا أن نتعلم من القرآن الكريم قوله تعالى في سورة النحل (٦٨ - ٦٩) **« وأَوْحَى رَبُّكَ إلىَ النَّحْلِ أن اتَّخِذي مِن الجِبَال بيوتاً مِن الشَّجَر وممَّا يَعْرِشُون ثمَّ كُلِي من كُلِّ الثَّمراتِ فاسْلُكي سُبُلَ ربِّكِ ذُلُلاً يَخرُجُ من بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُه فيهِ شِفاءٌ للنَّاس إنّ في ذَلِك لآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرون »** ولقد اكتشف العلم الحديث أن العسل فيه شفاء للناس من الناحية الطبية ويختلف لون العسل ولكن كل أنواعه فيها نفس المفعول في الشفاء فانظر الى قوله تعالى **« مُخْتَلِفٌ أَلْوانُه فيه شِفاءٌ للنَّاس »** وهذا ما برهنت عليه التجارب العلمية الحديثة .

(١) العسل للدكتور محمد نزار الدقر .

بَيْتُ النَّحْل

تتخذ النحل لنفسها بيوتا في غاية الروعة والاتقان شكلا وفي غاية الأحكام والدقة نظاما ولا شك أن أكثر الأشكال اتساعا هو الشكل المستدير واختارت النحل الشكل السداسي لأنه أقرب الأشكال الى المستدير في الوقت الذي لا يكون زوايا حادة أو فراغات بين الغرف ولو كانت الغرف مستديرة وضمت الى بعضها البعض لتكونت فجوات فارغة ضائعة خارج الغرف اذن فلا يوجد في الشكل مما لا يترك فجوات أو فراغات ويكون أكثر اتساعا الا الشكل السداسي .

في سورة النحل (٦٨ – ٦٩) نقرأ قوله تعالى « **وأوحى ربك إلى النحل أن اتَّخِذي مِنَ الجبالِ بُيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ ومما يَعرِشُون ، ثُمَّ كُلي من كُلِ الثَّمرات فاسْلُكي سُبُلَ رَبِّك ذُلُلاً يَخرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلوانُهُ فيهِ شِفَآء للنَّاس إنَّ في ذَلِك لآيَةً لِقَوم يَتَفكَّرون** » والخطاب في الآية الكريمة موجه الى كل انسان يقرأها ولم يقل الله تعالى **وأوحى الى النحل** ولكنه قال سبحانه « **وأوحى ربك الى النحل** » تأكيدا من أن الوحي للنحل من عند ربك وهذا ايعاز للانسان أن يتدبر أمر النحل وما فيه من إعجاز وأن يرد كل ذلك الى وحي الله تعالى وينظر الى عظمة الخالق الذي أوحى الى هذه الحشرة الضعيفة بكل هذا الفن الهندسي وهذا العلم الذي لا يستطيع مهندسوا الدنيا كلها ان يزيدوا عليه شيئا .

وبيت النحل بيت متعدد الغرف لكل منها وظيفة فهناك الغرف الملكية وهناك غرف الذكور وغرف الشغالة ومخازن الطعام أما النظام في البيت فهو نظام محكم ودقيق. فللبيت رئيس مطاع هو الملكة يخضع لها شعبها خضوعا تاما فهو مجتمع فيه قانون وخلق . وبيت فيه نظام وقيم قد أسس على نظام محكم ولا يمكن عقلا أن يكون كل ذلك قد حدث بواسطة عقل مدبر في هذه الحشرة الضئيلة. هنا نقف في حيرة لا ندري معها السر فيما نرى . لكن القرآن الكريم يخرجنا من هذه الحيرة ويبين لنا أن كل ذلك لم يكن عن علم يتمتع به النحل أو عقل فيه . انما هو وحي من ربك وما دام وحيا من الخالق

(١) العسل للدكتور محمد نزار الدقر .

تعالى فلا عجب أن يبلغ حد الكمال في كل شيء . ولا غرابة أن يكون المجتمع مثاليا وفاضلا وكريما .

وكل عضو في هذا البيت يقوم بعمله خير قيام فلا يطغى قوي على ضعيف ولا رئيس على مرؤوس وهو مجتمع تعاوني اذا احضرت احدى الفرق من النحل طعاما وزعته على موجودين جميعا ولا عجب في ذلك فهو مجتمع يعيش بوحي من ربك تبارك وتعالى.والنحل لا يخرج العسل برغبة منه ولكن العسل هو الذي يخرج من بطنه تقديرا من الله تعالى كما تقول الآية الكريمة « **يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانَه** » ولم تقل الآية **تُخرج من بطونها شرابا مختلفا ألوانه** اذن فصناعة العسل في جسم النحلة وخروجه منها ليس من صنعها هي فهو يخرج من بطنها دون أن يكون لها دور في ذلك . وفي العسل شفاء للناس وكلمة **شفاءٌ** كلمة نكرة دلالة على أنه ليس شفاء لكل الأمراض ولكنه شفاء لبعضها فحسب وتنكير كلمة شفاء ايحاء للناس بالاتجاه الى الدراسة والبحث لمعرفة ما يحدثه العسل من شفاء .

وعسل النحل يختلف في اللون ولكنه لا يختلف في التركيب والمفعول.فمهما اختلفت ألوانه فالتركيب واحد والمفعول واحد لذلك بينت الآية الكريمة هذا المعنى في قوله تعالى « **يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهاَ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُه فِيهِ شِفَاءٌ للنَّاس** » وما اكثر ما اكتشف العلم الحديث من فوائد طبية لعسل النحل مصداقا للآية الكريمة.والعمل الرئيسي في بيت النحل للملكة والشغالة أما الذكور فلا دور لهم في بناء البيت ولا تحضير الغذاء ولا في رعاية صغار ولا في حماية الخلية ولا حتى في انتاج العسل وكل عملهم هو تلقيح الملكة .

ولم يكن العلم يعرف أن الاناث وحدهن هن أهل الحل والعقد في بيت النحل وأن الذكور لا شأن لهم فيه لكن القرآن الكريم عندما تحدث عن بيت النحل تحدث عن أهل الحل والعقد فيه وهن الاناث لم يتحدث عن الذكور فليس لهم من الأمر في البيت شيء وهذا اعجاز جميل وتعبير علمي صادق .

فالحديث كله عن الاناث بقوله تعالى « **اتخذي** » « **وكلي** » « **فاسلكي** » « **في بطونها** »

ففكر في الاعجاز العلمي المتعدد في هذه الآية الكريمة فهو يدعو الى التأمل والتفكير حقا . لذلك عقب الحق تبارك وتعالى على ذلك بقوله « **إنَّ في ذَلِكَ لآيَةً لقومٍ يَتفكَّرون** » وهكذا القرآن الكريم دائما يحضنا على التفكير وعلى البحث العلمي في حدود استطاعتنا البشرية وقد نصيب تارة وقد نخطئ تارة اخرى ولكن ذلك لا ينبغي أن يمنعنا من ان نستمر في طلب العلم والتفكر طاعة لله تعالى الذي قال « ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » .



الهضم

عندما يتناول الانسان طعاما فانه بعد مضغه فى الفم يصل الى المعدة . . وهناك يتحول بواسطة خمائر المعدة الى شبه سائل غذائى نصف مهضوم يسمى الكيموس يشبه العجين . وبعد ساعة أو بعض ساعة يترك الطعام المهضوم المعدة ويصل الى الأمعاء وهناك بواسطة خمائر الأمعاء يتم الهضم ويحدث امتصاص المواد الغذائية خلال جدار الأمعاء . .

واذا تناول شخص لحما وخبزا مثلا ، وتناول شخص آخر فاكهة وخضرا ، وثالث بقلا وأرزا .. فبعد ساعة يتحول الطعام في معدة كلٍ من الثلاثة الى شبه سائل غذائي لا يختلف في الشكل وان كان يحتوي على نسب مختلفة في العناصر الغذائية .. ولا يمكن أن نحدد اسم الغذاء الذي تناوله الانسان من فحص شبه السائل الغذائى فى المعدة بعد تمام هضمه . . إذن فأى طعام يتحول الى عجين غذائى بالمعدة ليس له علاقة فى الشكل أو اللون أو الطعم بالطعام الذى تناوله الإنسان . .

واذا تناول الانسان بعد الطعام ماء فسينزل الماء على العجين الغذائى أو شبه السائل الغذائى المهضوم . . فاذا قلنا إن فلانا أكل تفاحة ثم شرب عليها ماء نكون قد أخطأنا فى التعبير العلمى . . فان شرب الماء لم يكن على التفاحة . . لأن التفاحة لم تعد تفاحة بعد أكلها بل تحولت الى ما يشبه العجين فاذا أردنا أن نتحرى الدقة فى التعبير العلمى فاننا نقول « أكل فلان تفاحة ثم شرب عليه ماء » — أى أن شرب الماء كان على شبه السائل الغذائى فى البطن .

. . ونقرأ فى القرآن أن المؤمنين سيدخلون الجنة فى الآخرة ، أما الضالين فيدخلون جهنم . . وسيأكلون من شجرها الذى ينبت فى قاع الجحيم ويسمى شجر الزقوم ولم نعرف عن هذا الشجر الا ما وصفه الله تعالى لنا فى موضع آخر من القرآن من أن ثمرها كرؤوس الشياطين . ورؤوس الشياطين لم يرها بشر . .

وقد يفهم الجن معناها أما البشر فلا ولكنها تلقى الرعب فى قلوبهم . . ولا يمكن أن يكون شجر الزقوم إلا شجراً مخيفا ذا شوك وملمس خشن ومنظر مزعج رهيب . . فان لفظ الزقوم لفظ له جرس خشن لا يريح السمع يعطى دلالة على ما يتصف به هذا الشجر من قبح . . ولما كان الجوع طاغ فان القوم يأكلون من هذا الشجر ويملأون منها بطونهم . . ولما كان ذلك الشجر ينبت من أصل الجحيم فإنه يحدث ظمأ عارما يدفع القوم الى أن يشربوا الحميم شربا كثيرا كشرب الابل العطشى التي لا تكاد ترتوي وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة الصافات (٦٢ – ٦٦) « **أذلك خيرٌ نُزُلاً أم شجرةُ الزَّقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شَجرة تَخرُجُ في أصلِ الجحيم . طَلعُها كَأنَّه رُؤوس الشياطينْ . فَإنَّهمْ لآكلُونَ مَنها فمالئون منها البطُون** » وفي سورة الدخان آية ٤٣ – ٤٦ « **إن شَجَرَةَ الزَّقُوم . طَعامُ الأَثيم . كالمهلْ يَغْلِي في البُطُون . كَغَلْيِ الحَميم** » . وفي سورة الواقعة ٥١ – ٥٣ « **ثُمَّ إنَّكُم ايُها الضَّالُّون المُكَذِّبُون لآكِلُونَ من شَجَرٍ من زَقُّوم فمالِئُون مِنْها البُطُون** » وبعد أن تمتلئ منها البطون تتحول كما نعلم الى سائل غذائي كالعجين لا يشبه الشجر الذي تناولوه في شيء . فإذا شربوا جميعا فسوف يشربون الحميم **عليه** – أي على ما تحول اليه من سائل غذائي مهضوم . ولذلك تعقب الآية تقول سورة الواقعة ٥٢ – ٥٤ « **لآكلون من شَجَرٍ من زَقُوم فمالِئونَ مِنها البُطون . فشاربُون عليه من الحَميم فشارِبون شُرب الهيم** » ولم تقل الآية فشاربون عليها . فلم يعد الشجر بعد تناوله في البطن شجرا بل صار طعاما مهضوما أو سائلا يشبه العجين .. لذلك كان الضمير في كلمة عليه لا يعود الى الشجر والا لقال عليها كما قال في الآية التي سبقتها « **فمالِئُونَ مِنها** » ولكنه قال « **فشاربون عليه من الحميم** » فالضمير ، عليه يعود الى ما آل اليه الشجر بعد تناوله من طعام مهضوم ..

وهذه لفتة علمية جميلة تدعو الى الاعجاب حقا .

ولا شك أن الحياة الأخرى ليست كحياتنا الدنيا ولا نعرف عنها الا ما أخبرنا القرآن الكريم به .. فهل هضم الطعام سيكون كما هو الحال في جسم

الانسان في الدنيا ؟ لا يعلم ذلك الا الله .. الا أن الله تعالى بين أن للإنسان في الآخرة فماً وبطناً وأمعاءاً كما له في الدنيا وذلك في سورة محمد ١٥ « **مثَلُ الجَنَّة التي وُعِدَ المتَّقُون فِيهَا أَنْهارٌ من ماءٍ غَيْر آسِنٍ وأنْهارٌ من لَبن لم يَتَغير طَعْمه . وأنْهارٌ منْ خَمْرٍ لَذةٍ لِلشاَرِبين . وأنْهارٌ منْ عَسَلٍ مُصَفًّى . ولَهُم فيها منْ كُلِ الثَّمرآتِ وَمَغْفِرَةٌ من رَبِهم كَمَنْ هو خالدٌ في النَّار وَسُقُوا ماءً حَميماً فَقَطَّعَ أَمْعاءهُم** » على أن هذه آيات من الله يعلمنا بها على قدر ما تطبق عقولنا وافهامنا وعلومنا والله تعالى أعلم بخلقه في الدنيا والآخرة ..

وحديثنا عن الهضم يسوقنا الى الحديث عن اللبن .. فان هناك علاقة وثيقة بين تكوين اللبن في الضرع والجهاز الهضمي ..

ولم يصل العلم البشري الى كيفية تكون اللبن في الضرع والا لاستطاع الانسان أن يصنعه .. ولكننا نعلم الخطوات التي تتم حتى يفرز اللبن من الضرع .. والقصة تبتدئ من الطعام .. يصل الى المعدة والأمعاء حيث تفرز عليه الخمائر الهاضمة فتحلله الى عناصره الغذائية ويمتص عن طريق جدار الأمعاء وما به من أجهزة امتصاص دقيقة .. وتمتص عناصر الطعام من سكريات ودهنيات والبروتينات وماء وأملاح وتتجه هذه المواد الى الدم ولا يبقى من الطعام بعد ذلك في الأمعاء سوى الفضلات وتسمى « الفرث » وتصل المواد الغذائية عن طريق الدم الى كل أجهزة الجسم لتغذيتها .. ومنها الضرع .. وبواسطة تلك المواد الغذائية وبمساعدة هرمونات من غدد الجسم ينشط الضرع ويقوم بصناعة اللبن وافرازه .. وهكذا تبتدئ قصة تكون اللبن من الطعام الذي يصل الى البطن وتمتص المواد الغذائية فيه من بين الفرث وتصل الى الدم ومنه الى الضرع فيصنع منها لبن صالح للغذاء .. ولم يكن ذلك الأمر معروفا الا من خلال علم وظائف الأعضاء في العلم الحديث ولكن القرآن ذكر تلك الحقيقة العلمية قديما في سورة النحل آية ٦٦ « **وإنَّ لَكُمْ في الأَنْعَامِ لَعِبْرة . نسقيكُمْ مما في بُطُونِه من بَين فَرثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالصاً سائِغاً للشارِبين** » ..

مشكلة شُربُ الخَمر

ان الخمرَ هو أكبر لعنةٍ أصابت الانسانَ على مر الزمان . فالخمرُ تسبب لشاربها العبوديَة والاذلالَ والمرضَ والهزالَ وتجعلُه يعيش حياةً لا معنى لها ولا هدف ، .. حياةً كلَها مشاكل اجتماعية وعائلية وصحية ، .. وبعد ذلك ضياع للدنيا والدين ، .. ثم الاسراع الى نهايةٍ مؤلمةٍ ، وندمٍ حين لا ينفع الندم ...

والخمرُ تؤثر على كل خلية من خلايا الجسم ، وخاصة الكبد والجهاز العصبي ، وتحدث أضراراً كثيرةً بالجسم ، تبتدئ باحتقان بالمخ والجهاز الهضمي والتهاب البنكرياس وتورم بخلايا الكبد ، .. وتنتهي بتليف الكبد واستسقاء البطن والتهاب أعصابِ الأطراف وضمور أعصاب العين ، .. وتؤثر الخمرُ على العقلِ تأثيراً سيئاً وتقلل من كفاءته الى حد[1] بعيد ، فتتضاءل المسئوليات امام المريض فلا يرى شيئاً مستحيلاً ، ولا يعترف بقانونٍ ، ولا يقيم وزنا لقيمٍ أو تقاليد ، .. وتنمحي قوةُ وزنِه وتقييمه للأمور والحكمَ عليها ، وكثيرا ما يتعرض لمواقف تسيء له اجتماعيا وعائليا وشخصيا ، أو الى موقفٍ يضره ضرراً بليغاً ويضر غيره ويؤذيه كحوادث المرور وغير ذلك .

والطامة الكبرى هي الادمان على الخمر ، .. والمريض حينئذ يكون عبدا ذليلا للخمر لا يستطيع عنها فكاكا ، ويمسك الادمان بتلابيبه حتى ينهي حياته نهاية مؤسفة . والادمان على الخمر يسبب أمراضاً كثيرة ، منها الالتهاب المزمن للمعدة ، وعسر الهضم ، وتليف الكبد ، وهبوط وظائفه ، ثم تردي مقدرته على العمل فلا يستطيع الاستمرار فيه ، ويكون الاهمال من أكبر مظاهره ، ثم اضطرابات عقلية تنتهي عادة بالجنون ، وقد أثبتت التجارب العلمية أن جسم الانسان المدمن على الخمر يكون أقل مقاومة للأمراض بل وأقصر عمرا من الانسان الذي لا يشرب الخمر .. واذا كان لكل شيء في الدنيا وجهان ، .. وجه فائدة ووجه ضرر ، فان للخمر وجها قبيحا وكريها واحدا فلا توجد للخمر فوائد أبدا ، كما لا نعرف مرضاً واحداً يشفيه الخمر . ورب قائل يقول ان الخمر يعطي الجسم حيوية ودفئاً ، وأبادر بالرد قائلا أنها حيوية كاذبة يصورها

(١) Chemical pharmecology (Laurence)

(٢) في ظلال القرآن للسيد قطب .

له عقله المريض ، وانما هي في الحقيقة ضعف وتأثير سيء على الجسم والعقل معا ، أما الشعور بالدفء فقد يكون على الجسم وبالا ، وقد يحدث به هلاكا ..

فاذا شرب الانسان خمرا ، توسعت الأوعية الدموية في جلده ، وازداد توارد الدم الساخن فيه ، لذلك يشعر الانسان بالدفء ، واذا كان الجو باردا جدا ، فان الدم الساخن بالجلد بعد شرب الخمر يفقد حرارته تدريجيا ، وفي ذلك خطر كبير على الجسم وضرر ، فقد يفقد الجسم حرارته الى درجة خطيرة يتوقف معها قلبه فيموت ، وفي رحلة « سكوت » في استكشاف القطب الجنوبي ، مات شاربو الخمر من أعضاء البعثة ، ونجا من الموت من لم يشرب الخمر منهم ، اذن يحق للناس أن يعلموا ، أن الخمر ضرر مطلق .. لا خير فيه ولا فائدة .. لهذا حرمه الله تعالى على عباده في القرآن الكريم .. ولم نقرأ في كتب الديانات الأخرى تحريما كتحريم القرآن للخمر ..

وعلاج الادمان على الخمر مشكلة صعبة ، فلا يستطيع المدمن أن يترك الخمر دفعة واحدة ، انما يجب أن يكون الامتناع عن تناول الخمر ، امتناعا تدريجيا مصحوبا بعلاج طبي نفساني . وجاء الاسلام على مجتمع مدمن على الخمر . فتناول هذه المشكلة تناولا بديعا معجزا . فانظر كيف عالج القرآن الكريم المجتمع المدمن على الخمر ، لم يعطهم في أول العلاج أمراً حاسما بترك الخمر ، فليس هذا هو طريق علاج الادمان ، انما يجب أن يكون تدريجيا ، وانما عالج المجتمع على أربع فترات : فهو علاج علمي دقيق وناجح أيضا :

الفترة الاولى :– نزلت أول آية للعلاج في سورة النحل آية ٦٧ : « **ومِن ثَمَراتِ النَّخيلِ والأَعْنابِ تَتَّخِذُون مِنْه سَكراً ورِزْقاً حَسَناً** » ... وهي اشارةٌ للمجتمع المسلم بأن الثمرات رزق حسنٌ وأما عمل الخمر منها فشيء لا يتصف بالحسن . فانظر الى هذه الاشارة اللطيفة .. لقد فهم المجتمع المسلم ذلك فقلت صناعة الخمور وبالتالي قل شربها .

الفترة الثانية :– هو ايحاء للمسلمين بأن ترك الخمر أولى من شربها لأن الاثمَ فيها أكبر من النفع كما جاء في سورة البقرة آية ٢١٩ : « **ويسألُونَكَ عنِ**

الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعَ لِلنَّاسِ ، وإِثْمُهما أَكْبَرُ من نَفْعِهِما » .

وأصبح الوضع واضحا الآن . فبعد الاشارة صار الايحاء الصريح من الله تعالى لعباده . وما دام الاثم أكبر من النفع فان لم يكن الامتناع عنها مستطاعا ، فلا اقل من التقليل منها الى أقصى حد مستطاع ، وكان هذا هو المراد من الله تعالى .

الفترة الثالثة :– بعد أن قلل المسلمون من شرب الخمر الى درجة كبيرة أصبح الجو حينئذ مهيئا الى كسر عادة الشرب في أوقات محددة ، وذلك هو أهمُ شيء في علاج الادمان . ولكن كيف تناول القرآن الكريم ذلك ؟ . لقد جعل التناقض واضحا بين شرب الخمر واقامة الصلاة ، عندما قال الله تعالى في سورة النساء آية ٤٣ : **« يا أَيُّها الَّذينَ آمنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وأَنْتُمْ سُكارَى حَتَى تَعْلَموا ما تَقُولُون »** .

والصلاة تقام في مواعيد متقاربة ، ولا يكفي ما بينها من وقت للسكر والإفاقة منه . اذن فقد ضيق الله تعالى الخناق على الشاربين وكسر فيهم عادة الادمان ، وبعد أن تم ذلك ، نزل قوله تعالى في سورة المائدة آية ٩١ وفيها نهي صريح عن شرب الخمر : **« انما يُريدُ الشَّيْطانُ أن يُوقِعَ بَيْنَكُمْ العَداَوَةَ والبَغْضاءَ في الخَمْرِ والمَيْسر وَيُصدَّكم عَن ذِكْرِ الله وعن الصَّلاةَ فَهلْ أَنْتُم مُنْتَهون »** .

وهكذا مُهد الطريق تماما الى المرحلة الأخيرة من العلاج ، بعد أن تنبه المسلمون أولا الى أن الخمر ليس شيئا حسنا ، فقللوا الشرب منه ، ثم الايحاء لهم بأن الاثم فيها أكبر من النفع ، وذلك جعلهم يقللون الشرب أكثر وأكثر . ثم جعل هناك تناقضا واضحا بين القيام بالصلاة وشرب الخمر ، فأقلع الكثيرون عن شرب الخمر أو كادوا .

المرحلة الرابعة : ونزلت الآية الفاصلة أخيرا وفيها الأمر الصريح بالامتناع عن شرب الخمر وذلك في سورة المائدة آية (٩٠) : **« يا أيها الَّذينَ آمنوا إنَّما الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ من عَمَلِ الشَّيْطان فاجْتَنِبوه »**.وهكذا امتنع المسلمون نهائيا عن الخمر بعد أن هيأ لهم القرآن الكريم العلاج بطريقة سليمة

صحيحة . وجاء الطب الحديث محاولا أن يعالج ادمان الخمر بطريقة تدريجية ، ولكن شتان بين العلاج البشري والعلاج الرباني ، انه فرق شاسع كبير .. والدليل على ذلك أن العلاج الالهي عالج مجتمعاً بأكمله كان مدمنا على الخمر ، فشفاه كله شفاء تاما .

أما العلاج الطبي الحديث فبالرغم من سلامته نظريا الا أنه فشل عمليا ، فكم من الناس شفي من الادمان على الخمر بالعلاج الطبي الحديث ؟ انهم أقل من القليل ...



الباب الثاني

الحواس

حَواس جسْم الإنسَان

خلق الانسان ليعيش في مجتمع . في سورة الحجرات (١٣) يقول تعالى «وَجعلناكم شُعوبا وقبائلَ لتعارفوا» ولما كان الانسان لا بد أن يعيش في مجتمع فكان لا بد أن يأخذ منه ويعطي ، ويفيد مجتمعه ومنه يستفيد ، وما دام الأمر كذلك ، فكان لا بد أن يزود الخالق جسمَ الانسان بأجهزة بواسطتها يرى ويسمع ما يجري حوله من أشياء ليتفاعل مع مجتمعه ويتجاوب ، وبذلك يكون المجتمع الانساني مجتمعا مرتبطا بعضه ببعض في وحدة واحدة . وهذه الأجهزة هي حواس الجسم .

ولو أننا استعرضنا حواس الجسم جميعا لوجدنا أن السمع أهمها للانسان ويليه في الأهمية البصر . فالمبصر الذي لا يسمع يمكنه أن يرى ، ولكن لا يفهم ما يقال ، وبالتالي لا يستطيع أن يتحدث مع الآخرين حديثاً عادياً . فيقل انتاجه ، فتضعف فاعليته في المجتمع الذي يعيش فيه ، أما الأعمى الذي يسمع جيدا فهو ان كان لا يمكنه أن يرى الا أنه يستطيع أن يسمع جيدا كل ما يقال وكل ما يجري من حوله فالسمع يعوضه كثيرا عن نظره المفقود فيبصر الأشياء بسمعه ويتفاعل مع مجتمعه ويتعلم منه ويعلم ويأخذ منه ويعطي ويستفيد منه ويفيد . وكم من علماء وأساتذة عظام كانوا عميانا ، لأن السمع كما قلنا يعين على الحياة أكثر كثيرا مما يعين عليها النظر .

والسمع هو الذي يساعد الطفل الوليد على تعلم النطق والكلام ولولا سلامة السمع لنشأ الانسان في الحياة لا يستطيع نطقا ولا يعرف لغة أو كلاما . من أجل ذلك لا يذكر الله حواس الانسان الا ويذكر السمع أولا . والانسان يولد طفلا ويخرج الى الحياة الدنيا لا يعلم عنها شيئا وكل ما يحصله من علم ولغة وحديث وتجارب انما هو مكتسب عن طريق هذه الحواس . فالانسان يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئا عما يحدث بالدنيا التي جاء اليها ولكن الله تعالى خلقه

وخلق به السمع والابصار والأفئدة التي بواسطتها يتعلم ويفهم كل ما يدور حوله في مجتمعه في الحياة الدنيا .

ويبين الله تعالى تلك الحقيقة العلمية في وضوح ويعلمها للانسان وذلك في سورة النحل (٧٨) اقرأ قوله تعالى « **والله أخْرَجكُم من بُطُون أُمَّهاتكُم لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً** » ثم عقب الله تعالى على ذلك قائلا في نفس الآية الكريمة « **وَجَعلَ لَكُم السَّمعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ** » وفي ذلك منة من الله تعالى على عباده ونعمة كبرى يستحق من عبده أن يشكره عليها . لذلك يختم الله الآية بقوله تعالى « **لعلكم تشكرون** » ولنقرأ الآية الكريمة من جديد لنتفهم ما بها من علم ولنتدبر ما بها من معاني « **والله أَخْرَجكُم من بُطُون أُمَّهاتِكُم لا تَعْلَمُون شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُم السَّمعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدةَ لَعَلَّكُم تَشْكُرون** » ونلاحظ في قراءة القرآن الكريم أن كلمة السمع تقال مفردة وكلمة الأبصار تقال جمعا كقوله تعالى « **وجَعلَ لكُم السَّمعَ والأبصار** » وقوله تعالى في سورة الأحقاف (٢٦) « **وَجَعلنا لهم سمعا وأبصاراً وأفْئِدة** » وفي سورة الأنعام (٤٦) « **قُلْ أَرَأَيْتُم انْ أَخذَ الله سَمَعَكُم وأَبْصارَكُم** » فلماذا قيلت كلمة السمع مفردة وكلمة الابصار جمعا ؟ ذلك لأن السمع أكثر تجريدا من البصر لمعنى ما يرى ويسمع . ففهم المعنى عن طريق البصر يختلف من بصر شخص الى بصر شخص آخر ، فقد ينظر الانسان ويتحقق ، وقد ينظر غيره وهولاه عما يرى ، وقد يغض البعض بصره ، وقد لا يلتفت البعض الى ما يكون أمامه .

اذن فالفهم يختلف باختلاف الأبصار . أما الفهم عن طريق السمع فلا يختلف من سمع عن آخر . فلا يستطيع أحد أن يغض السمع أو أن يغفل اذنه عن ما يسمع فلا بد أن تسمع الأذن الصوت الذي يصل اليها شاء الانسان ذلك أم أبى . فالابصار تختلف في الفهم أما السمع فلا . من أجل ذلك وكثير غيره مما لا نحيط به ذكرت الابصار في القرآن الكريم جمعا ، وذكر السمع مفردا . فانظر الى دقة البيان الالهي في القرآن الكريم . ولما كان السمع أكثر أهمية للانسان من البصر فيذكر السمع قبل البصر في الانسان في كل الآيات الكريمة مثل قوله

تعالى « وَجَعلنا لَكُم السَّمعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ » أما اذا تكلم الله تبارك وتعالى عن نفسه فلا يقدم السمع على الأبصار دائما لأن قدرته تعالى لا نهائية وبلا حدود في كل شيء وليست مثل خلقه من البشر وما خلق فيهم من حواس تختلف في درجات ضعفها وأهميتها لهم فاذا قال الله تعالى عن البشر في سورة مريم (٢٨) « أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا » فقد قدم سمع الانسان على بصره اشارة إلى أهمية السمع في الإنسان وعلوها عن أهمية البصر فيه . أما إذا تكلم تبارك وتعالى عن نفسه فلا يقدم السمع عن البصر دائما وإنما قد يقدم البصر عن السمع كما جاء في سورة الكهف (٢٦) قال الله تعالى ابْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ ما لَهِمْ من دُونِه من وَلِيٍّ ولا يُشْرِكُ في حُكمِهِ احدا » وقد يؤخر البصر عن السمع عندما ينسب كل ذلك الى نفسه سبحانه فيقول في سورة الشورى (١١) « لَيسَ كَمِثْلِه شيء وَهوَ السَّميعُ البصير » .

والانسان عندما ينام يقفل عينيه ولكنه لا يستطيع أن يقفل أذنيه خلقه الله كذلك ليستطيع أن يسمع مثلا صوت عدوه فيقوم منتبها ليدافع عن نفسه ، فالسمع حارس الانسان أثناء نومه أما البصر فلا . اذن فالسمع في الليل له الأهمية القصوى من بين الحواس جميعا أما أثناء النهار فتزداد أهمية حاسة النظر للانسان .

ومن الجميل أن نقرأ بيانا عن ذلك في سورة القصص (٧١ — ٧٢) قال الله تعالى « قُل أَرأَيْتُمْ إنْ جَعَلَ الله عَلَيْكُمْ اللَّيلَ سَرْمَداً إلىَ يَوْمِ القِيامَةِ منْ إلهٌ غَيْرَ الله ياتيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُون . قل أَرأَيْتَمْ إنْ جَعلَ الله عَليكُم النَّهارَ سَرْمداً إلى يَوْمِ القِيامةِ منْ إلهٌ غَيْرُ الله يأتيكم بلَيلٍ تَسكُنُونَ فيه أَفَلا تُبصِرُونْ »

فعند ذكر الليل حيث السمع له الأهمية القصوى من بين الحواس كلها قال تعالى « أَفَلا تَسمَعُون » وعند ذكر النهار حيث تكون للبصر أهمية عظيمة قال تعالى « أَفَلا تُبصِرُون »

السمع

يخرج الانسان من بطن أمه طفلا لا يعلم عن أمور هذه الدنيا شيئا الا أن خالقه تعالى يجهز جسمه بحواس بواسطتها يعلم الانسان ما يدور حوله من أشياء . وسبق أن تحدثنا عن أهمية السمع التي تفوق أهمية البصر وغيره من الحواس . من أجل ذلك ما ذكر القرآن الكريم حواس الجسم الا وذكر السمع أولا .

يصل الصوت الى أذن الإنسان على شكل موجات صوتية وصوان الأذن خلق في نظام وشكل من شأنه أن يجمع كل الموجات الصوتية التي تصل اليه . وتحدث هذه الموجات اهتزازات بطبلة الأذن . وخلف طبلة الأذن ثلاث عظيمات صغيرة متصلة بعضها البعض في نظام مدهش وعجيب من شأنه أن يوصل اهتزازات الطبلة الى جهاز السمع في الأذن الداخلية وبهذا الجهاز مئة الف خلية سمعية[1].

واذا وصفنا هذا الجهاز السمعي فسوف نصف عالما عظيما لا ينتهي الحديث من دقته ونظامه العجيب وروعة الخلق فيه ويكفي أن نعلم هنا أن هذا الجهاز الدقيق يحول الاهتزازات الى موجات كهربائية يوصلها الى عصب السمع ومنه الى مركز السمع في المخ . وعند وصول هذه الموجات الى مركز السمع يسمع الانسان الصوت ، يسمعه ولكن لا يفهم معناه لذلك يحوله الى جهاز آخر مجاور له كعقل الكتروني صوتي يختزن كل الذكريات والمعاني عن مختلف الأصوات التي سبق فهمها من قبل[2]. وتصل الموجات الى هذا المركز حينئذ فقد يفهم الانسان معنى ما يسمع من صوت.والانسان اذا كان نائما تنام معظم المراكز العصبية بالمخ بما فيها مركز السمع لذلك اذا تحدثت بجانب شخص نائم حديثا بصوت عادي فانه وان كانت أذنه تستقبل الصوت وتنقله الى عصب السمع الا أنه لا يسمع لأن مراكز السمع في المخ نائمة وهي على حالتها تلك لا توقظها الأصوات الهادئة ولكنها تستيقظ منتبهة اذا كان الصوت عاليا .. من ذلك نفهم أن الأذن ليست هي جهاز السمع وانما هي جهازاً لاستقبال الموجات الصوتية

(١) Principles of Internal Medicine (Harrison)

(٢) الطب محراب الايمان للدكتور خالص كنجو وكتاب

وتوصيلها الى عصب السمع ، فالأذن جهاز استقبال ونقل لا تسمع هي نفسها شيئا ، لكن المخ هو الذي يسمع الصوت وهو الذي يفهم معناه .

والانسان لا يسمع ما حوله من أصوات في ثلاث حالات : اما أن يكون جهاز الاستقبال أي الأذن مريضة ، واما أن تكون الذبذبات الصوتية اسرع من أن تستوعبها الأذن البشرية ، واما أن يكون المخ نفسه مضطربا أو مريضا . ان أذن الانسان تنقل كل الأصوات التي تصل سرعتها الى ٢٠ الف ذبذبة في الثانية أما الأصوات التي ذبذبتها أسرع من ذلك فلا تستطيع الأذن البشرية نقلها . والحيوانات تختلف في قوة آذانها من نوع الى آخر . فأذن القرد تنقل الى المخ أصواتا تصل ذبذبتها الى ٣٠ الف ذبذبة في الثانية . وأذن القط أكثر دقة تستطيع أن تنقل أصواتا ذبذبتها تصل الى ٥٠ الف ذبذبة في الثانية . أما الخفاش فلأنه يعيش في الظلام ويعتمد اعتمادا تاما على سمعه فقد جهزه خالقه بأذن بالغة القوة تستطيع أن تنقل أصواتا تصل ذبذبتها الى ١٢٠ الف ذبذبة في الثانية لذلك فهذه الحيوانات تسمع أصواتا لا يسمعها الانسان .. لهذا نلاحظ أن بعض الحيوانات و طيور تسرح خائفة ومذعورة قبيل حدوث عاصفة او زلزال عندما تسمع أصواتا في الجو عالية الذبذبة جدا لا تنقلها الأذن البشرية .

من هذا نفهم أن الانسان لا يسمع كل ما حوله من أصوات . فالانسان بالنسبة لأي صوت ذبذبته أعلى من ٢٠ الف ذبذبة في الثانية بالنسبة لهذا الصوت أصم . فالانسان يعيش في عالم يسمع فيه جانبا من الأصوات مما يعينه على حياته فحسب ، أما باقي الأصوات الأخرى وما أكثرها فلا يسمع منها شيئا . وحتى الأصوات العادية الانسان لا يسمعها اذا حدث لعقله خلل أو اضطراب أو كان ذهنه غافلاً أو عقله منصرفا الى شيء آخر .

وكان الطب وقت نزول القرآن لا يفهم شيئا عن المراكز العصبية ووظيفة المخ .

وكان الاعتقاد العلمي أن الأذن هي التي تسمع وليس للمخ شأن في ذلك .

ولكن القرآن الكريم بين ارتباط السمع بالمخ وذكر ان الذي غفل ذهنه وانشغل عقله فهو وان كان يسمع الا أنه لا يستطيع أن يفهم ما يسمع . وهذا ما استطاع الطب الحديث أن يصل الى فهمه . اقرأ عن ذلك في سورة الأنفال (٢١ — ٢٣) قوله تعالى « **ولا تكونوا كالّذينَ قَالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُون . إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُ البكمْ الّذين لا يَعقِلُون . ولَو عَلمَ الله فيهمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ ولَو أَسْمعَهمْ لتولّوا وَهُمْ مُعرِضُون** » وفي سورة الاعراف (١٠٠) قال الله تعالى « **أَوَلَم يَهدِ للّذينَ يَرِثونَ الأَرضَ منْ بَعد أَهْلها أَنْ لَو نشاء أصبناهُمْ بِذنُوبِهمْ ونَطبعَ على قُلوبِهمْ فَهمْ لا يَسمَعُونْ** » ويبين الله تعالى ارتباط السمع بالعقل في سورة هود (٢٠) وهو يتحدث عن الكافرين قال تعالى « **أُولِئكَ لَمْ يكُونوا معجِزينَ في الأَرْض وما كانَ لهمْ من دُون الله من أَوْلياء يضاعِفُ لهم العذابَ ما كانوا يَسْتَطيعُون السَّمعْ وما كَانوا يُبْصِرون** » ويقول الله تعالى في سورة الأعراف (١٧٩) « **ولَقدْ ذرأنا لِجَهنَّم كَثيراً منَ الجنِّ والإنْسَ لَهم قلوبٌ لا يَفْقَهونَ بها ولَهم أعْينٌ لا يُبْصِرون بها ولَهم آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أولئِكَ كالأَنْعام بَلْ هُم أَضَلُ أُولئِك هُم الغَافِلون** » فالانسان الذي غفل عقله يصل الصوت الى مركز السمع بالمخ فيسمع صوته ولكن لا يفهم معنى ما يسمع لأن مركز فهم السمع في المخ معطل فيه وربط فهم ما يقال ويسمع بالعقل جاء في آيات كثيرة في القرآن الكريم ففي سورة المؤمنين (٧٨) قال الله تعالى « **وهو الّذي أنْشأَ لَكُمْ السَّمْعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ** » وفي سورة الفرقان (٤٤) قال الله تعالى « **أمْ تَحْسَب أنَّ أكْثَرهُم يَسْمَعُون أو يَعْقِلون** » .



البصر

حاسة البصر تلي حاسة السمع في الأهمية وقد جهز الخالق تعالى جسم الانسان بأجهزة في غاية الدقة والاتقان يستطيع بواسطتها أن يرى وأن يفهم ما يرى . ان العين جهاز دقيق فهي كرة مظلمة في الداخل مغلفة بالصلبة والمشيمة والشبكية . والشبكية تتكون من ثمان طبقات من خلايا تختلف في الشكل والوظيفة ، واخر طبقاتها خيوط عصب البصر . وتصل الأشعة الضوئية من الصور التي أمام العين الى الشبكية فتوصلها الى عصب البصر على شكل تيارات كهربائية الى مركز الابصار في مؤخرة المخ ؛ حينئذ فقط يرى الانسان الصورة التي أمامه ولكنه لا يفهم معناها . من أجل ذلك يتحول السيال الكهربائي الى مركز آخر قريب في المخ وظيفته فهم معنى ما يرى مركز الابصار . وفي ذلك المركز تختزن كل الذكريات المتعلقة بالمرئيات التي سبق رؤيتها .

من هذا نفهم أن العين الة لنقل الصورة الى المخ فحسب . والمخ هو الذي يبصر الأشياء .. ثم هو الذي يفهم ما يبصر .. فالعين تنظر ولا تبصر والمخ يبصر ولا ينظر . ولو كان المخ مريضا أو كان العقل مضطربا ومشتتا ، لنظر الانسان بعينه الى الشيء الذي أمامه ولكنه ظل لا يبصر منه شيئا ولا يفهم له معنى ، والطفل الصغير قد يرى نارا فيمسكها ، فهو وان كان يراها الا أن مركز فهم الرؤية لم يكتمل في مخه بعد ، فهو لا يفهم معنى ما يرى .

وكان الأطباء في القرون الماضية ووقت نزول القرآن الكريم يعتقدون أن الانسان يبصر بعينيه . وجاء العلم الحديث واثبت بما لا يدع مجالا للشك أن النظر الذي يعتمد على العين غير البصر الذي يعتمد على المخ . ولو كان المخ مضطربا أو كان العقل مشتتا ، فالانسان حينئذ ينظر ولكنه لا يستطيع أن يبصر شيئا . هذه حقيقة علمية حديثة في علوم البشر الا أن القرآن الكريم ذكر كل ذلك قديما . فاقرأ معي قوله تعالى في سورة الاعراف (١٩٧ — ١٩٨) **« والَّذينَ تَدعُون من دُونِه لا يَسْتَطِيعُون نَصرَكُم ولا أَنْفسهم يَنْصرون وان**

تَدعوهم الى الهُدى لا يَسْمعُوا وتَراهُم يَنظُرون إلَيك وهم لا يُبْصِرون »
ما هذا الاعجاز المبين « **وإن تدعوهُم الى الهدى لا يَسمعوا وتَراهُم ينظُرون إليكَ وهم لا يُبصرون** » .

ولما كان البصر من وظائف المخ فاننا عندما نقرأ القرآن نقرأ عجبا . فالآيات التي تذكر البصر تربطه دائما بالمخ والعقل وتقرنه بالأفئدة لأن البصر كما علمنا يعتمد على ذلك . واذا مس الإنسان طائف من الشيطان اضطرب عقله وتشتت تفكيره فهو حينئذ لا يبصر ما هو أمامه إلا اذا رجع اليه ثبات عقله مرة أخرى . واقرأ في سورة الأعراف (١٩٩ - ٢٠١) قوله تعالى الذى يوضح فيه أن الانسان لا يبصر إلا إذا رجع اليه كامل عقله « **خُذ العَفْو وأمُر بالعُرْفِ واعْرِضْ عَن الجاهِلين واما يَنْزَغَنَّكَ من الشَّيطانِ نَزْغٌ فاستعذْ باللهِ إنّهُ سَميعٌ عَليمٌ . إنَّ الَّذينَ اتَّقوا إذا مَسَّهم طائِفٌ من الشَّيطان تَذَكَّروا فإذا هُمْ مُبْصِرون** » ما أروع هذا العلم وما أجمله « **إن الذين اتّقوا اذا مسّهم طائفٌ من الشَّيطان تذكّروا فاذا هم مُبصِرون** » .

ويوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية في سورة يس(٩) ويتحدث عن القوم الغافلين الذين لا يؤمنون يقول تعالى « **وجَعَلْنا مِن بَيْن أيْديهمْ سَدًّا ومِن خَلَفِهم سدًّا فأَغْشَيْناهم فَهُم لا يُبصرون** » .

ويربط القرآن الكريم بين قدرة الابصار وثَبات الأفئدة اقرأ في سورة الأنعام (١١٠) قوله تعالى « **ونقلِبُ أفئِدَتَهم وأبصارهُم** » وفي سورة النحل (٧٨) « **وجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ والأَبْصارَ والأَفئِدة لعلَّكم تَشْكُرون** » ونقرأ في سورة النور (٣٠ - ٣١) قولاً كريما « **قُلْ للمؤمنين يَغُضُّوا من أَبْصارِهم وَيَحْفظوا فُروجَهُم ذلك أزْكى لهم إن الله خَبيرٌ بما يَصْنَعون . وقُل للمؤمِناتِ يَغْضُضْنَ من أَبْصارهِنّ** » ولم يقل الله تعالى يغضوا من أنظارهم أو يغضضن من أنظارهن ولكنه تعالى خص البصر بالقول : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** » وقال « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** » . لأن الإنسان قد ينظر الى شيء وعقله منصرف تماما عما ينظر اليه الى شيء آخر . فهو لا يفكر فيما ينظر اليه . إنما الأمر بغض البصر جاء

دعوة الى الكف عن النظر الى المحرمات وأعمال العقل فيما يرى واشغال الفكر فيما يبصر .

وكان الاعتقاد قديما أن الإنسان يرى كل شيء أمامه بعينيه إلا الملائكة والجن فلا يراهما . وجاء العلم الحديث وأثبت ان الانسان لا يستطيع أن يرى كل شيء بما لديه من حواس . فان للبصر مثله مثل باقي حواس الجسم مدى لا يتعداه وحدوداً . فالجراثيم الدقيقة لا ترى بالعين المجردة وإن كنا نراها بالمجهر. وقبل اختراع المجهر لم يكن من الممكن رؤية هذه الكائنات الحية الدقيقة . وهناك مخلوقات لا ترى حتى بالمجهر – كالذرة – مثلا .وهناك أجرام ونجوم ضخمة جدا لا نراها بالعين المجردة ولكنها قد ترى بالتلسكوبات الفلكية . الا أن بعض النجوم لا يمكن رؤيتها حتى بأقوى التلسكوبات لأن نورها لم يصل الينا بعد منذ بدء خلقها الى الآن .

اذن فنحن في عالم نستطيع أن نبصر فيه أشياء ، ولكن مالا نستطيع أن نبصره فيه أكثر عددا . هذه حقائق علمية لم يدركها الانسان الا في العصر الحديث ولم تكن معروفة من قبل أبدا .. ولكن الله تعالى لم يفرط في الكتاب من شيء فقد ذكر كل شيء في القرآن الكريم .. وقرر هذه الحقائق التي كانت مجهولة وقت نزول القرآن .. وما أكثر ما كان الناس يجهلون من حقائق في ذلك الوقت ..

والقرآن لم ينزل لعصر من العصور فحسب .. ولكنه نزل لكل العصور حتى قيام الساعة وكل عصر يستطيع أن ينهل من علوم القرآن الكريم مايتيح له تقدم علمه البشري .

وحقيقة إبصار الانسان بأشياء تحيط به وعدم قدرته على ابصار أشياء أخرى فهمناها نحن في عصرنا الحديث ولم تكن معروفة من قبل على أساس علمي .. وجاء ذكرها في سورة الحاقة ٣٨ – ٤٠ « **فَلا أُقْسِمُ بما تُبْصِرُون ومالاَ تُبْصِرُون .. إنّه لقولُ رَسُولٌ كَرِيم** » .

إن مخلوقات الخالق تبارك وتعالى أكثر كثيرا ما نرى بحواسنا المحدودة ..

وأرحب كثيرا مما نستطيع أن نبصره ببصرنا الضعيف .. وما أكثر ما يجري من حولنا من أشياء لا نستطيع لها سمعا .. وليس في قدرتنا أن نبصر لها صورة ومنظرا .. إننا نعيش في مهرجان نوراني هائل لا نهائي من مخلوقات لا نستطيع لها عدا ولا إحصاء ما نحس به منها وما نراه الا شيئا يسيرا .



الإحساس في الجلد

الجهاز العصبي المركزي هو مركز الأعصاب المنتشرة في الجسم جميعا . وتخرج منه أعصاب الحركة والارادة وتدخل اليه أعصاب الاحساس المختلفة التي تحمل اليه الأنباء عما يحيط بالجسم من أشياء متعددة . وهناك شبكة هائلة من أعصاب الاحساس تنتشر في الجلد مثل أعصاب الاحساس باللمس وأخرى للاحساس بالالم وأعصاب تحس الحرارة أو البرودة وأخرى تحس درجة الضغط الخارجي على الجلد . ولكل عصب وظيفة محددة .. فعصب الاحساس باللمس مثلا - وخز بابرة لا ينقل الى المخ الاحساس بالالم ولكنه ينقل الاحساس بلمس الابرة فقط .. واذا قطع الجلد بسكين فأعصاب البرودة والسخونة تنقل فقط درجة برودة السكين أو سخونتها ولا تنقل الاحساس بالالم .

وتنتشر أعصاب الاحساس المتعدة بالجسم كله لكن الأعصاب التي تنقل الاحساس بالألم نتيجة الحرق أو الإصابة موجودة بالجلد فقط أما ما عدا الجلد من الأعضاء فلا يوجد بها أعصاب تنقل احساس الألم نتيجة للحرق أو الاصابة وبالتالي لا يحس الانسان لهذه الأشياء ألما . فالانسان اذا قطعت أحشاؤه لا يحس ألما . واذا وخز جسمه بابرة طويلة وادخلها في لحمه الى عمق ، فانه يشعر في أول الأمر بألم الوخزة عندما تمر بالجلد .. أما اذا توغلت في عضلاته ، فلا يشعر بأي ألم بسبب تلك الوخزة .

اذن فأعصاب نقل الاحساس بالالم نتيجة الاصابة أو الحرق توجد بالجلد فقط هذا ما وصل اليه الطب الحديث . أما في الماضي فكان الطب لا يعرف كل هذه الحقائق ولكن القرآن الكريم ذكر صراحة أن الاحساس بالم الحرق يكمن في الجلد فقط وذلك في سورة النساء آية ٥٦ قال الله تعالى **« إنَّ الَّذينَ كَفَروا بآياتِنَا سوفَ نَصْليهِم ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودهُم بدَّلْناهُم جُلُوداً غيرها ليذوقوا العذابَ انَّ الله كانَ عَزيزاً حكيما »** .

فكر في كلمة « **ليذوقوا** » التي ذكرت مسبوقة بلام التعليل . ولم يقل

« **ويذوقوا العذاب** » وانما قال « **ليذوقوا العذاب** » دليلا وتأكيدا على أن تذوق العذاب يأتي عن طريق الجلد .. ولم يقل « بدلناهم عضلات غيرها » أو « عظاما غيرها » ولكنه تعالى قال « **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلودُهم بَدلناهُمْ جُلوداً غَيرَها لِيَذوقُوا العَذابَ** » .

والانسان يحس ويلمس الأشياء بواسطة جلده .. فهو يحس نعومة الأشياء وخشونتها ويشعر من خلال ذلك بالمتعة والارتياح .. واذا فقد الانسان بصره فانه يستعيض بحاسة اللمس بالجلد عن البصر المفقود .. فالاحساس بكافة أنواعه يحدث بواسطة أعصاب الاحساس بالجلد والأغشية المخاطية نظيرة الجلد . ولا تكتمل متعة الانسان بما يحيط به من أشياء الا اذا كانت حاسة اللمس فيه سليمة وتتوزع أعصاب اللمس في جلد الانسان الذي يبلغ حوالي ١٧٥ سنتمتر مربع باعداد مختلفة ولكن بنظام دقيق فهي تكثر في الأماكن التي يحتاج فيها الانسان كثيرا الى حاسة اللمس .

ان كل متع الانسان في الحياة لا بد اذن أن تمر من خلال الاحساس باللمس بواسطة الجلد بعد أن تسمع وترى . فاذا كانت هناك أعضاء في الجسم ستشهد على الانسان يوم الحساب فلا شك أنها ستكون تلك الأعضاء التي مر من خلالها احساسه بمتع الحياة وهي السمع والبصر والجلد .. لذلك نقرأ في القرآن الكريم قولا عجبا في هذا الموضوع استمعوا معي في سورة فصلت ١٩ – ٢٠ قال تعالى « **ويوم يُحْشر أعداءُ الله الى النّار فَهُم يُوزَعُون . حتى إذا جَاءوها شَهِدَ عَليهم سَمْعُهم وأَبْصارهم وجُلُودُهم بما كانوا يَعْمَلون** » ويصاب الانسان حينئذ بالدهشة فهو لا ينكر على سمعه وبصره أن يشهدا عليه ولكنه ينكر ذلك على جلده فما بال جلده يشهد عليه هو الاخر لذلك يتوجه الى جلده يسأله عن ذلك مندهشا لماذا اشترك مع السمع والبصر في الشهادة عليه لذلك تقول هذه الآية الكريمة آية ٢١ – ٢٢ « **وقالوا لِجلُودهم لِمَ شَهِدتُم عَلَيْنَا قَالوا أَنطَقَنا الله الذي أَنطَقَ كُلَّ شَيء وهو خَلَقَكُم أَوَّل مَرة واليه تُرجَعُون وما كنتم تَسْتَتِرون أَنْ يَشْهَد عَلَيْكُم سَمْعُكم ولا أَبْصارُكم ولا جُلُودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كَثيرا مما تَعملُون** » .

معنى هذه الآيات الكريمة بما لم يستطع أن يفهمه الأوائل .

انه قول فصل وشرح علمي دقيق وبيان للناس من الحق تبارك وتعالى لعلهم يتفكرون .

انه علم عظيم نزل الى الناس في وقت كان فيه العلم البشري يحبو وكان لا يحيط بما جاء بالقرآن علما . وجاء علمنا الحديث واستطاع أن يفهم

الباب الثالث

التمريض والعلاج



التمريض في القرآن

التمريض علم كبير وفرع هام من فروع الطب . ولا يحقق الطب هدفه الا بواسطة التمريض السليم ولا ينجح العلاج الا بوجود التمريض الحسن . ولكل حالة من الحالات وضع خاص . . . فريض هبوط القلب يجب أن يكون في سريره في وضع نصف جالس . . ولوكان في وضع أفقى لاحتقنت الرئتان وثقل النفس . . ومريض الاغماء يجب أن يكون فى وضع أفقى مائل يكون مستوى الرأس فيه الى أسفل . . وهكذا .

واذا أزمن المرض في جسم الانسان فانه يتعين على ممرضه أن يغير من وضع الجسم من حين الى آخر . . فتغيير وضع الجسم من ضرورات التمريض السليم فاذا نام المريض على جنب واحد عدة أيام نتجت عن ذلك أضرار كثيرة لأعضاء الجسم المختلفة .

فالماء الموجود خارج خلايا الجسم وهو حوالى ١٢ لتراً ، يخضع للجاذبية الأرضية . . فاذا وقف الانسان عدة ساعات دون أية حركة ، تحركت السوائل الى أسفل فتتورم الساقان . واذا نام الانسان على جنبه أياما دون حركة ، اتجهت السوائل في الجسم الى الجنب الملامس للأرض وذلك يعطل الدورة الدموية فى ذلك الجنب من الجسم . . فاذا أضيف الى ذلك الضغط الناتج من ثقل الجسم على الفراش لنتج ضعف موضعى شديد فى الدورة الدموية ، وقلة خطرة فى تغذية هذه الأماكن مما يؤدى الى موتها تدريجيا . . وينتهى الأمر بها الى قروح خطيرة بالجلد قد يصعب علاجها وقد يستعصى . . وربما أدت الى تسمم دموى يسرع بالمريض الى نهايته .

واذا نام المريض في وضع واحد دون حركة أياما ، فإن الرئتين تعانيان من احتقان قد يؤدى الى التهاب خطير يهدد الحياة . . وتتباطأ الدورة الدموية في الأطراف ويكون أكثر تباطئها في الأوردة ويؤدي ذلك الى جلطة بأوردة

الأطراف وما تحمل للانسان من أخطار .

ووضع الانسان دون حركة يحدث تيبسا فى مفاصل الجسم وعضلاته . . وقد يستدعى ذلك علاجا قد يطول .

وهكذا تحدث أخطار كثيرة لأى مريض أو انسان سليم اذا نام مدة طويلة في وضع معين دون أن يغيره . . ولكن التمريض الحديث يضع ذلك فى اعتباره دائما فيغير من وضع الجسم بين الحين والحين وذلك يمنع عن الانسان أخطاراً كثيرة . والانسان الطبيعى أثناء نومه نراه يغير من وضع جسمه بين ساعة وأخرى بحركة غير ارادية . . لأن فى ذلك راحة لجسمه وفائدة للتنفس وللمفاصل والدورة الدموية والعضلات والجلد .

نخرج من كل ذلك أن تغيير وضع الجسم أمر ضرورى لسلامة الجسم لأى انسان ينام مدة طويلة . كما أن تبديل الهواء ووجود الضوء ضرورة أيضا لسلامة الجسم . .

ولقد لبث أهل الكهف ثلاثمائة من السنين وهم نيام . . ونحن اذا نظرنا الى علم التمريض لوجدنا أن هؤلاء الفتية فى الكهف ما كانت أجسامهم تحتفظ بسلامتها الا اذا كانوا تحت رعاية تمريضية دقيقة وكاملة . . وأهم خطوات التمريض هو تغيير أوضاع أجسامهم من وقت لآخر . . ولولا ذلك لتقرحت جلودهم ولأكلت الأرض لحومهم وعظامهم فضلا عن انسداد أوردة الأطراف وغير ذلك من المضاعفات كما أن تبديل الهواء ووجود ضوء الشمس من ضرورة صحة الأجسام .

وهنا نتساءل كيف ظلوا طوال هذه القرون نياما ولم تحدث لهم كل هذه الأخطار وكيف ظلت أجسامهم سليمة ؟

يجيبنا القرآن الكريم على هذا التساؤل في سورة الكهف آية (١٧-١٨) يقول تعالى : « وتَرى الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَن كَهْفِهِم ذَاتَ اليَمينِ وإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَات الشِّمال وهُمْ في فَجْوَةٍ مِنْه ذٰلِكَ من آياتِ الله

مَن يَهْدِ اللهُ فهوَ الْمُهتدِ ومَنْ يُضلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وليًّا مُرْشِدا . وتَحْسَبُهُم أيْقاظاً وهُمْ رُقودٌ ونُقلِّبُهُم ذَاتَ اليَمينِ وذَاتَ الشِّمال » .

وهكذا بين القرآن الكريم لنا كيف أن هؤلاء الفتية كانوا طوال هذه السنين تقلبهم العناية الإلٰهية ذات اليمين وذات الشمال وأن الشمس اذا طلعت كانت تميل عن كهفهم حتى لا تؤذى أشعتها المباشرة أجسامهم وإن كانت تعطيهم الضوء اللازم . . واذا غربت كانت تبتعد عنهم أيضا .

من أجل ذلك – فى حدود علومنا البشرية واجتهادنا في نطاق علومنا المادية – نجد الأسباب قد توفرت لحفظ أجسام أهل الكهف من خطورة النوم الطويل . . ولا شك أن العناية الالهية فوق كل هذه الأسباب والعوامل . . وإنما هى آيات من الله تعالى بيّنها لعباده لعلهم يتفكرون .



العلاج بالتحليل النفسي

الطب النفسي فرع هام من فروع الطب فكلما توحد أمراض عضوية توجد أيضا أمراض نفسية وعلماء النفس وعلى رأسهم فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي يعتقدون أن كل الاضطرابات والأمراض النفسية ما هي إلا نتيجة لكبت رغبات ومتطلبات الغرائز التي لا يقرها المجتمع ولا يسمح به العرف والقانون فاضطر صاحبها الى أن يكبتها في عقله الباطن بشكل لا شعورى بقصد اخفائها وتجاهلها ولكنها دائما تحاول الظهور الى الوعي وتسعى دائما الى التعبير عن نفسها في الوقت الذي يحاول المريض كبتها.من ذلك ينشأ الصراع النفسي بين محاولة الكبت ومحاولة الظهور ونتيجة لهذا الصراع يحدث اضطراب أو مرض نفسي قد يكون بسيطا وقد يكون شديدا ومن أمثال ذلك مرض الاضطراب العصبي ومرض الاكتئاب النفسي وما يحدث من جرائم من محاولة التخلص من حياته ويرى فرويد ان علاج هذه الحالات هو العلاج النفسي .[1]

ومجمل التحليل النفسي أن يسترخي المريض تماما ويساعد على ذلك ببعض العقاقير أو بطريق التنويم ثم يتحدث بكل ما في نفسه للطبيب النفسي ويعترف بصوت مسموع وهذا اعتراف صريح للمريض بالاخطاء التي ارتكبها والاعتراف يكشف عن الأخطاء والذنوب فيراها هو ويشعر بها هنالك تحدث هدنة ويحدث صلح بين النفس والضمير فيتسامح ضمير المريض ويكف عن لوم النفس وبذلك يستريح المريض وتتحسن حالته .

واذا كان اعتراف انسان لانسان بأخطائه أو الافضاء بهمومه لصديق يريحه الى هذه الدرجة فما بالك بالاستغفار لله تعالى . ان الاستغفار أعم من التحليل النفسي وأشمل من الاعتراف للطبيب لأن الاستغفار هو طلب المغفرة من خطأ اعترف به الانسان مسبقا فتحس نفسه بالخطأ وتبطل محاسبة الضمير ويستريح المريض هذا فضلا عن أن التحليل النفسي هو محاولة لأخذ الاعتراف

(١) الطب النفسي المعاصر للدكتور احمد عكاشة .

وسحبه من المريض سحبا أما الاستغفار فهو اعتراف كامل وصريح وبدون ضغط ومن أقرب طريق . وشعور الانسان بالارتياح بعد الاعتراف أمام الطبيب بما أخطأ فيه أقل كثيرا جدا من شعور الارتياح الذي يعقب الاستغفار لله تعالى فهو يعترف بخطئه ويكف ضميره عن لومه فيستريح تماما لأنه على يقين من ان الله تعالى الذي مرد كل شيء اليه ولا ملجأ منه الا اليه سيغفر له ويتوب عليه وسيفتح معه صفحة جديدة . فما أعظم ارتياح نفسية الانسان الذي يخطيء ثم يستغفر الله .

وفي القرآن الكريم العلاج الناجع لهؤلاء الذين أخطأوا ويحتاجون لعلاج نفسي وفيه العلاج الأهم والأكثر نجاحا من علاج التحليل النفسي وهو الوعد من الخالق العظيم بالعفو والمغفرة مع دعوة لعدم اليأس من رحمة الله تعالى مهما أخطأ الانسان واسرف في الخطأ اقرأ في سورة الزمر (٥٣) قوله تعالى ا« **قُل يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا منْ رَحْمة الله إنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعا إنَّه هُوَ الغَفُور الرَّحيم** » ثم أن الله يفتح باب التوبة على مصراعيه وباب المغفرة على سعته وذلك يدفع كل مذنب الى طلب العفو والمغفرة من خالقه والله تعالى غفور رحيم لا يرد مستغفرا ولا يرفض تائبا فهو يغفر ويرحم كل من يطلب منه ذلك بلا قيد ولا شرط فما أجمل ذلك من علاج واقرأ في سورة النساء (١١٠)قولا كريما مريحا للنفس البشرية ومطمئنا لها قال تعالى « **وَمَنْ يَعْمَل سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُم يَسْتَغْفِر الله يَجِدْ الله غفورا رحيما** » فانظر كيف يأخذ القرآن الكريم بيد الانسان في محنته وكيف يساعده في وقت ضعفه وشدته .

وهكذا جاء القرآن الكريم علاجا وشفاء لكل اضطراب نفسي نتج عن الاقدام على خطأ أو خطيئة أو حتى الاسراف في ذلك فاذا رجع الانسان عنها يجد باب الاستغفار متسعا له . وهناك وعد قاطع من الله سبحانه بالعفو عن الخطأ والتجاوز عن الذنوب مما يجعل القرآن شفاء لآلام النفس البشرية لا تكون فوائد العلاج النفسي الحديث بجانبه شيئا مذكورا .

والايمان بالله يمنح الطمأنينة للنفس ما لا يمنحه أي علاج آخر فهؤلاء النفر من البشر الذين يتسارعون على جمع المال وعلى السلطة يجلبون لأنفسهم اضطرابا عصبيا وأمراضا نفسية وعضوية أيضا . ان القرآن الكريم يتناول علاج هؤلاء برفق فيذكر لهم دائما قوله تعالى « **وَتَوَكَّل عَلَى الله** » وقوله تعالى « **واصْبِر وَما صَبْرُكَ الا بالله** » وقوله تعالى « **قُلْ لَنْ يُصيبَنا الاَّ ما كَتَبَ اللهُ لَنا** » وقوله تعالى « **وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ الله رَمَى** » وقوله تعالى « **وَما تَشَاؤون الاَّ أنْ يَشاءَ الله** » ثم يخبره بعد ذلك أنه ليس وحده فخالقه لا يتركه أبدا ولا ينصرف عنه مطلقا وأقرأ في سورة المجادلة (٧)قال الله تعالى « **أَلَم تَرَ أنَّ الله يَعْلَمُ ما في السّمواتِ وما في الأرضِ ما يَكُون من نَجْوى ثَلاثةٍ الاَّ هُو رابِعُهُم ولا خَمْسَةٍ الا هو سَادِسُهُم ولا أدنى من ذلك ولا أكْثر الا هُو مَعَهُم أيْنَما كانوا** »

ونلاحظ أن الآية استهلت بتقرير علم الله الشامل للكون كله بقوله « **أَلَمْ تَرَ أن الله يَعْلَم ما في السَّمواتِ وما في الأرْض** » ثم بتقرير وجوده مع كل مخلوق فيشعر المخلوق الضعيف أن الخالق الأعظم تبارك وتعالى لا تشغله مشاغل المخلوقات في الكون كله عن النظر اليه دائما والقرب منه في كل وقت مما يجلب للانسان الانس والطمأنينة والسعادة والارتياح حينئذ يتحرر الانسان من تصوراته الدنيوية وموازينه المحدودة فينتفي عن نفسه أي اضطراب وتحل محله الطمأنينة والسعادة والارتياح فما أعظم القرآن للانسان من علاج وما أجمله من شفاء .

ان الله تعالى هو خالق الخلق وكل صانع أعلم بما يفيد صناعته ويصونها ويريحها والقرآن الكريم أنزله الله نورا وهدى للناس وشفاء لكل الآم النفس البشرية وصدق الله تعالى اذ قال في سورة الاسراء (٨٢)« **ونُنزل من القرآن ما هُو شِفاءٌ ورحْمةٌ للمؤمنين ولا يَزِيدُ الظَّالمين الاَّ خَسَارا** » . وفي سورة يونس يونس (٥٧)يقول تعالى « **قَد جاءتكُم مَوْعِظَةٌ من ربِّكم وشفاءٌ لما في الصدور** »

وفي سورة فصلت ٤٤ يقول تعالى : « **أأَعْجَمِي وعَربيٌّ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** » .. هذا عن شفاء أمراض النفس .. أما عن شفاء الجسم فله علاج

مادي بالاضافة الى العلاج النفسي وضرب القرآن مثلا بالعلاج المادي بالعسل في قوله تعالى في سورة النحل آية ٦٩ « **يَخرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ ألوانُهُ فيه شفاءٌ لِلناس** » .



الاتصال الجنسي في الطهر والمحيض

الاتصال الجنسي بين الزوجين وسيلة لغاية أسمى هي التناسل وحفظ النوع واستمرار الحياة . والاتصال الجنسي لا يكون غاية الا بين الحيوانات .. ولا ينبغي على الانسان أن يكون كالحيوان سواء بسواء .. بل يجب عليه أن يسمو بعلاقته الجنسية الى مستوى الآدمية .. وينبغي أن تتسم هذه العلاقة بالنظافة والطهر .. وذلك يتأتى بالاتصال أثناء الطهر وفي مكان الإخصاب دون سواه .

ان الاتصال الجنسي أثناء الحيض مضر ضررا أكيدا .. وتقول علومنا الحديثة أن الأعضاء التناسلية في المرأة تكون محتقنة أثناء الحيض .. وبخاصة الرحم الذي يكون محتقنا الى درجة النزف .. والأضرار كثيرة منها أن يزيد النزف بعد الاتصال .. وتعقب ذلك التهابات في الأعضاء التناسلية في المرأة والرجل معا .. كما تحدث التهابات في المجاري البولية في الزوجين أيضاً .. وقد تنقل بعض الأمراض أثناء الاتصال الجنسي في الحيض من زوج الى الآخر .. الا أن الأضرار النفسية هي أخطر أضرار الاتصال الجنسي في الحيض .. إن كثيرا من النساء والرجال يصابون باشمئزاز ونفور نفسي ينتج عنه ضعف جنسي قد يكون شديداً ..

إن الاتصال الجنسي بين الزوجين أثناء الحيض فيه خطر وأذى مادي ونفسي للزوجين معا .. وهذا ما بينه القرآن الكريم وذلك في سورة البقرة (٢٢٢) في قوله تعالى « **وَيَسْأَلونكَ عن المَحيضِ قُلْ هو أذًى . فاعتَزِلُوا النِّساء في المَحِيض ولا تَقْرَبُوهُنَّ حتَّى يَطْهُرْنَ . فإذا تَطَهَّرْنَ فأتُوهُنَّ من حيثُ أَمَرَكُم الله . إن الله يُحِبُّ التَّوابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرين** » .

أخطار الزنا

الاتصال الجنسي غير المشروع بين رجل وامرأة يجر أخطارا لا حدود لها للانسان الخاطيء نفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه ..

والزنا لا يتم بدون مقدمات .. ومقدمات الزنا تصاحبها رغبة جنسية مصحوبة بأحاسيس ومشاعر تحمل معها الاضطراب العصبي والمعاناة من الخوف من المجتمع وتأنيب الضمير .. والفزع من نتائج ما هما مقدمان عليه من خطيئة .. وحينئذ تختفي من النفس عزتها .. وتفقد كبرياءها وطهرها وارتياحها .

واذا تكلمنا عن الأضرار الصحية في فترة ما قبل الاتصال الجنسي غير المشروع .. فستتكلم عن الاحتقان الشديد بالغدد التناسلية في الجنسين .. مصحوبا بالاضطراب والتوتر العصبي .. كل ذلك يجر على الجسم اضطرابات كثيرة ..

اذن فمقدمات الزنا لها أضرار شتى .. ولا شك أن أهم الأخطار هو اتمام الخطيئة نفسها .. إن الخاطيء يقع في معاناة عصبية شديدة واضطراب نفسي كبير .. مما يدفعه الى البحث عما يهدئ أعصابه ويريح نفسه فيقع في خطأ أكبر .. لأن الخطأ يجر الى خطأ .. فيشرب الخمر .. وفي الخمر من الأضرار والمصائب للانسان الشيء الكثير ..

هذا عن مقدمات الزنا .. وما بها من أضرار للانسان .. وما تجر من أخطاء وأخطاء .. لذلك نجد القرآن الكريم ينهى الانسان عن مقدمات الزنا فضلا عن الزنا نفسه فيقول تعالى في سورة الاسراء (٣٢) **« وَلا تَقْرَبوا الزنا »** .. وفي قوله تعالى نهي عن القرب من الخطيئة .. إشارة الى أن مقدمات الزنا نفسها تحمل الضرر للانسان فلا يجب أن يقربها ..

أما اذا تم فعل الزنا نفسه .. فانه يجر سلسلة من الأخطار الصحية والمادية والاجتماعية .. إنه خطر وضرر مطلق .

ومن الناحية الصحية فالزنا ينشر الأمراض السرية مثل الزهري والسيلان

وثبت علميا أن أي مجتمع انتشر فيه الزنا انتشرت فيه بالتالي الأمراض السرية واتسع نطاقها بالرغم من العلاج .. ولعل الارتفاع الكبير في نسبة الإصابة بهذه الأمراض في البلاد الغربية دليل على ذلك ..

والأمراض السرية التي تنتقل بواسطة الزنا من أخطر الأمراض وأسوئها وأشدها أخطارا ومضاعفات فتجر وراءها الشلل والعته والجنون وأمراض القلب وما الى ذلك ...

أما الأخطار الاجتماعية فالزنا يؤدي الى القتل .. عمليات الاجهاض قتل للجنين .. وإن لم يقتل الجنين في بطن أمه فانه يقتل بعد ولادته أو يلقى به الى الضياع .. كما أن الزنا يقتل الروابط العائلية ويقتل تقاليد وقيم المجتمع .. كما أنه يقتل نفسية الزاني نفسه .. فيقتل ما في نفسه من طهر وسمو وعزة وكبرياء .. لهذا فإننا نلاحظ أن القرآن الكريم ذكر الزنا في معرض النهي عن القتل في قوله تعالى في سورة الاسراء (٣١ - ٣٣) « **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإيّاكُمْ . إنّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْئاً كَبيرا . ولا تَقْرَبُوا الزِّنا إنّهُ كانَ فاحِشَةً وساءَ سَبيلا . ولا تَقْتُلوا النَّفس التي حَرَّمَ الله الا بالحق** » .

وهكذا ذكر الزنا بين النهي عن قتل الأولاد .. والنهي عن قتل الانسان ..

وقد جاء النهي عن الزنا في معرض النهي عن قتل النفس التي حرم الله الا بالحق وذلك في قوله تعالى في سورة الفرقان(٦٨) « **والذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ الله إلٰهاً آخَرَ ولا يَقْتُلُون النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله الاَّ بالحَقِ ولا يَزْنُونَ . ومَنْ يَفْعَل ذَلِك يَلْقَ أَثَاما** » .

فما أخطر الزنا من طريق وما أسوأه من سبيل .



البَابُ الرَّابع

خَلق الإنسَانْ



تَكَوُّن النُّطفَة

حينما يتجه جيش هائل مكون من مئات الألوف من الحيوانات المنوية ، الى وجهةٍ واحدةٍ وهدف واحد . . كلٌ حيوان منها يتحرك بالرأس والذيل حركات دودية ، سريعة مندفعا الى الأمام . تدفعه قوة خفيفة ، وتوجهه وتوحي اليه بما ينبغي عليه أن يقوم به . إنه وحيُ بارئه تعالى وليس غيره . فالحيوان المنوي ليس حيوانا ولكنه نصف خلية .. فما هذا التقدير والفهم لما ينبغي عليه أن يعمله ؟ وكيف تتجه جميعا الى ناحية البويضة وكأن بها عقلا مدبرا وبصرا ثاقبا ، وما بها من عقل ، وما لديها من بصر .. ولكنها قدرة الخالق وإبداع صنعه .

يتجه هذا الجيش الهائل الى البويضة حتى يجدها .. والبويضة صغيرة الحجم فقطرها أقل من ١/٥ ميليمتر . وتتجمع الملايين من الحيوانات المنوية حول البويضة كما يتجمع جيش جرار حول حصن لاقتحامه . وعندما ينجح حيوان منوي في اختراق البويضة ، ويتحد بها ، ينفض الجيش كله بعيدا عن البويضة ويبتعد عنها وكأنما صدر اليه أمر بالابتعاد عنها فانصاع للأمر فورا أو كأنما فقدت البويضة كلَّ اغرائها ، فلم تعد لهذه الحيوانات هدفا ولا مطلبا .

وباتحاد الحيوان المنوي بالبويضة تتكون النطفة ، ويحدث تغير هائل في الخلية الملقحة . ونشاط كبير وتطورات لا نعرف لها سرا ولا نحصى لها عددا .

إن كل خلية في جسم الانسان تحتوي على ٤٦ كروموسوما تحمل العوامل الوراثية ، ما عدا الحيوان المنوي والبويضة ، فكل منها يحتوي على نصف العدد من الكروموسومات فحسب ، أي ٢٣ كروموسوما فقط . فهي إذن خلايا غير كاملة بل هي أنصاف خلايا .. ولذلك تعرف « بالامشاج » وباتحاد الأمشاج تتكون النطفة .

ولقد توصل علم الوراثة الحديث ، منذ قرن واحد فقط الى معرفة الامشاج وتكوين النطفة منها .. اما قبل ذلك فما كان الانسان في الدنيا كلها يعلم عن ذلك الأمر شيئا .. بل كان يعيش على الاعتقاد المخطئ قديما ، وهو أن الجنين مكون من نقطة دم متجمدة . وان المنى ، سائل فيه سر الحياة لتلك النقطة المتجمدة من الدم .

عاش العلم البشري اذن في متاهات النظريات المخطئة ، واستمر يتخبط في ظلمات الجهل ، حتى بزغ نور القرآن الكريم ، فبدد هذه الظلمات ، وجاء بالعلم واليقين ، يعرض كل ذلك على الانسان ليفهمه ما خفي عليه وليعلمه ما لم يكن يعلم .. إقرأ البيان العلمي الدقيق لتكون النطفة من الامشاج وهذا هو ما استطاع العلم البشري الحديث أن يصل اليه في القرن الحالي فقط .. إقرأ العلم في القرآن الكريم في سورة الانسان (٢) « **إنّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهُ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بصيراً** » تمعن في قوله تعالى « **من نطفة امشاج** » انها بيان علمي دقيق موجز معجز لتكون النطفة في الانسان ..

والآن .. هل من المعقول ، أن يكون القرآن الذي نزل في وقت لم يكن فيه علم الاجنة معروفا أبدا ، والذي يبين كيف يتكون الجنين في دقة بالغة ، وحقائق علمية لم تعرف الا بعد ١٤٠٠ عام .. هل من المعقول أن يكون هذا القرآن من عند بشر ؟ .. الا يستحق ذلك ممن في قلبه شك ، وقفة يتأمل فيها ويفكر تفكيرا محايدا ، في غير ما تعصب وتحيز .. والأمر واضح جلي .. أنه سيرى الحقيقة أمامه .. سيراها واضحة ناصعة .. فالعلم وقت نزول القرآن كان يعتقد أن الجنين نقطة دم فاذا بالقرآن الكريم في ذلك الزمن ينزل الى الناس ويقول لهم .. لا .. إن النطفة ليست نقطة دم .. ولكنها نطفة أمشاج .. وإن الانسان خلق من نطفة أمشاج تحدث باتحاد أمشاج من الذكر والأنثى .. الا تكفي هذه الآية الكريمة وحدها دليلا ، على أن القرآن الكريم من عند الله ؟ ..

والنطفة بعد تكونها تصبح نشطة ، تتكاثر بسرعة مدهشة ، وتحركها قوة خارقة مذهلة .. ولكنها مع ذلك نطفة ضعيفة وحساسة جدا ، أقل شيء يؤذيها ..

فكان لا بد أن تكون في مكان أمين وملجأ منيع يحميها من أية اصابة أو اهتزاز . وقدّر لها صانعها سبحانه وتعالى .. مكانا هو أكثر أماكن الجسم حماية وأعظمها منعة . في مكان محاط بعظام قوية ثابتة ، إحاطة السوار بالمعصم ، ومكان لا يتحرك الا قدرا يسيرا .. بل هو أقل أجزاء الجسم حركة . هذا المكان هو الرحم ، الذي وضعه الخالق سبحانه وتعالى داخل عظام الحوض القوية .

اذن فالرحم نعم القرار المكين ، الذي يضمن الحماية ، ويمنع الأذى عن النطفة الضعيفة الحساسة . ولنستمع الى قول الله تعالى في سورة المؤمنون (١٢–١٣) **« ولَقَدْ خَلَقْنا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ من طِين . ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكين »** ولا شك أن روعة التصوير في الآية الكريمة ، مع الايجاز المعجز مما يلفت النظر ويعمل التفكير .. واقرأ تصويرا بديعا آخر لهذه الحقيقة ، في سورة المرسلات (٢٠ – ٢٤) **« أَلَمْ نَخْلُقكُمْ مِن ماءٍ مَهين . فَجَعَلْناهُ في قَرارٍ مَكين . الى قَدَرٍ مَعْلُوم فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُون . ويلٌ يَومَئذٍ للمكَذِّبين »** .

تباركت يا فاطر السماوات والأرض . وصدقت يا رب العالمين .



خلق النُّطفة في الإنسان

لم يُعرف علم الاجنة كعلم على أسس صحيحة الا في العصر الحديث .. أما قبل ذلك فقد مر علم الأجنة بفترات من الظلام طويلة ، وبعصور من الجهل استمرت أمدا طويلا لم يكن يعلم العلماء فيها عن الأجنة شيئاً مذكوراً .. فقد ظل الناس يعتقدون أن الجنين يتكون في رحم المرأة من دم متجمد وان مني الرجل سائل يأتي من الدم مباشرة ويمنح الجنين سرَّ الحياة .. نشأ هذا الاعتقاد العلمي في القرن الثالث قبل الميلاد وظل حتى القرن السابع عشر حينما اكتشفت الدورة الدموية وحينئذ تبين للعلماء أن مني الرجل لا يأتي من الدم مباشرة كما كان الاعتقاد العلمي قديما .. وفي أواخر القرن السابع عشر جاء العالم ريجنبير دي جراف واكتشف أن مبيض المرأة يخرج البويضة .. وفي القرن الثامن عشر ابتدأ العلم البشري يدرك قدراً من الحقيقة في علم الأجنة .. ودالت دولة نظرية أرسطو عن الجنين والتي ظلت قائمة عشرين قرنا من الزمان والتي كانت تقول أن الجنين نقطة دم متجمد في رحم المرأة يظل به الى أن يأتي سائل المني فيمنحه الحياة .

وفي وسط ظلام هذا الجهل البين في علم الأجنة ظهر نور القرآن الكريم وجاء بعلم لم يكن معروفاً في العالم كله في ذلك الوقت .. بل انه جاء بحقائق علمية لم يعرفها العلم البشري حتى بعد قرون عديدة من نزوله ولو كان القرآن من عند بشر لكان حديثه عن النظريات العلمية التي كانت سائدة في ذلك الزمن وقبله .. اما وقد جاء القرآن الكريم بعلم لم يعلمه البشر في الدنيا قاطبة بعد ١٤٠٠ سنة ، فان ذلك دليل قاطع على أن القرآن ليس من عند بشر .

ففي وسط الاعتقاد بأن الجنين نقطة دم متجمد ، أن المني سائل لا يعرف من أين يأتي ، ولا يعرف عنه الا أنه « سائل » يمنح الحياة .. في وسط هذا الاعتقاد البعيد عن الحقيقة .. جاء القرآن بحقائق علمية لم يفهمها الناس وقت نزول القرآن بالطبع .. ولكنهم ابتدأوا يتفهمونها شيئا فشيئا عندما تقدم

العلم الحديث .. فهناك حقائق علمية في علم الأجنة وعلم الوراثة أشار اليها القرآن الكريم ، لم نعرفها نحن الا منذ سنوات معدودات فقط .. ولا شك أن بالقرآن الكريم من العلم ما لم تصل اليه أفهامنا وعلومنا اليه بعد . . وستفهمه الأجيالُ التي ستأتي بعدنا عندما يتقدم علمُها وتسمو أفهامُها الى مستويات من العلم أعلى مما نحن عليه الآن .

والغدد التناسلية في الرجل هي الخصية ، وفي المرأة هي المبيض وتنشأ الغدة التناسلية في الرجل والمرأة معا من أصل واحد في الجنين يسمى (النتوء التناسلى) .

والنتوء التناسلى يوجد في الجنين بشكل مستطيل بجوار الفقرات الصدرية ، والفقرات القطنية من الظهر ، انه نتوءٌ يوجد أسفل عظام الصدر وأعلى عظام الظهر في الجنين . . إذن فنشأةُ الغدد التناسلية بين عظام الصدر وعظام الظهر . . وعظامُ الصدر تسمى الترائب ، وعظامُ الظهر تسمى الصلب . . ولما كان الانسان جاهلا بكل هذه الحقائق العلمية جهلاً تاماً ، فقد كانت له اجتهاداتٌ ونظريات وتفسيرات بَعُدت كلُّها بالطبع عن الحقيقة بعدا كبيرا . . فقد كان الناس كما قلت عند نزول القرآن الكريم في جهل تام ليس بمراحل تكون الجنين فحسب ، ولكن على جهل تام بكل ما يتعلق بالجنين نفسه . . لا يفهم منه أمرا . . ولا يعلم عنه شيئا . .

الى أن مرت القرون تلو القرون ، وجاء علم الأجنة الحديث ، وأدرك الانسان من خلاله بعض هذه الحقائق العلمية . . ولو تفهم الانسان معاني القرآن الكريم لوفر على نفسه عناء البحث زمنا طويلا . . ففى وقت كان الجنين سرا أمام الانسان مستغلقا ومجهولا ، ذكر القرآن الكريم وصفا دقيقا لأصل تكون الجنين ، وتكون أعضائه . . وفي معرض حديثه عن الغدد التناسلية في الجنين ذكر ما استطعنا أن نفهمه نحن الآن فقط .

قال تعالى في سورة الطارق (٥ – ٧) « **فليَنْظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقْ . خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقْ . يَخْرُجُ مِنْ بيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبْ** » .

انظر الى كلمة «بين» **التي** تبين أن الغدد التناسلية فعلا من عظام الظهر والصدر وانظر الى كلمة (**الانسان**) فغدد الانسان سواء الذكر منه أو الانثى تخلق في نفس المكان . . وتمعن في دقة البيان وروعة التعبير والتصوير مع الايجاز المعجز المبدع **« فَلْيَنظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقْ . . خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقْ . يَخْرُجُ مِنْ بينِ الصُّلبِ والتَّرائِبْ »** . .

وفي سورة الأعراف (١٢٢) قال الله تعالى **« وإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنِ بنى آدم من ظُهورِهم ذُرِّيَتهم »** . . وانظر الى كلمة (بني آدم) التي تعني الذكر والأنثى معا . . فنشأة الغدد التناسلية في الاثنين معا في مكان واحد . .

تباركت يا فاطر السماوات والأرض وصدقت يا رب العالمين وتباركت قدرتك وعظمتك في خلقك . .



١ـ خَلق الجَنين

ذكر الله تعالى بيانا معجزا عن مراحل خلق الجنين وذلك في سورة المؤمنون (١٢ - ١٤) قال تعالى «**ولَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ مِنْ سُلاَلَة مِنْ طين . ثُمَّ جَعَلناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مكين . ثُمَّ خَلَقنا النُّطْفَة عَلَقة فَخلقنا العَلَقة مُضْغَةً فَخَلقنا المُضْغَةَ عِظاماً ، فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْما . ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخرَ . فتبارَكَ الله أَحْسَنَ الْخالِقِين .**» .

خُلق الانسان من طين . وهذا ثابت علميا . فإن عناصر الجسم كلها هي عناصر التراب . ومعظم الجسم من الماء . والتراب والماء يكونان الطين . اذن فالانسان خلق من الطين أولا ، ثم جعل الله منه خلق النطفة .

ولما كان بين الخلق من الطين وبين تكون النطفة زمن طويل . فقد ذكرت الآية الكريمة كلمة « ثم » التي تفيد التتابع مع التراخي . «**ولَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ مِنْ سُلالَةٍ من طين ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكين**» .

وتكون النطفة ، يختلف عن مراحل تكون الجنين كلها ، فقد جعلها الله من خليتين كانتا منفصلتين إحداهما عن الأخرى . إحداهما من الذكر والأخرى من الأنثى . ثم تكونت فصارت نطفة .. وحينئذ بث الخالق سبحانه فيها سرَّ الحياة . ثم وضعها في قرار مكين .. وهذا الخلق وبث الحياة فيه ، يختلف عن خلق كل الأطوار الأخرى ، كالعلقة والمضغة والعظام . واللحم . فهذه تكونت من خلال تطور الخلق في الجنين من صورة الى أخرى .. لذلك عند ذكر النطفة قال تعالى «**ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً**» .. وعند ذكر العلقة والمضغة والعظام واللحم ذكر تعالى كلمة «**خَلَقْنَا**» ونقرأ الآيات من جديد لنتبين عمق المعنى ، وصدق التعبير العلمي ، ودقة البيان القرآني ، قال تعالى :

«**ولَقَدْ خَلَقْنا الانسانَ من سُلالَةٍ منْ طين ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرار مكين ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلقَة مُضْغَةً فَخَلَقنا المُضْغَةَ عِظاماً**

فكسَونا العِظامَ لَحْماً . ثُمَّ أَنْشأناه خَلْقاً آخر فتباركَ الله أحسن الخالِقين » .

وتعلمنا في علم الأجنة الحديث ، أن أجنة الانسان تشترك كلها في خطوات الخلق ، من اول جعل النطفة الى خلق العظام وكسوتها بالعضلات . وحتى هذه الرحلة في الخلق تكون كل الأجنة في المخلوقات متشابهة . فنحن اذا اطلعنا على عدد كبير من الاجنة في هذه الرحلة ، لا يمكننا تحديد نوع المخلوق ان كان انسانا أو حصانا أو فأرا .. إنها أجنة ، متشابهة تماما في الشكل وتطور الخلق في هذه الرحلة . أما في المرحلة التالية ، فيتشكل كل جنين حسب نوعه . ويتشكل جنين الانسان في أكمل صورة وفي أحسن تقويم . ثم ينمو كل جنين بالصفات والشكل الذي يتميز به عن المخلوقات الأخرى .. إذن فبعد مرحلة تكون العظام والعضلات ، ينشئ الخالق سبحانه وتعالى كل جنين خلقا آخر .. وفي ذلك يقول القرآن الكريم معقبا في الآية الكريمة « **ثُمَّ أَنْشَأْهُ خَلْقَا آخر فَتَبارَكَ الله أحْسَن الخالِقِينْ** » وهذا بيان قرآني حاسم ودقيق .

ولقد ذكر القرآن الكريم مراحل تكون الجنين تفصيلاً ، ومن منهج القرآن الكريم ، الا يذكر تفاصيل مثل هذه القضايا ، وانما يذكر رؤوسها فحسب ، ويترك تفاصيلها لعقل الانسان ، ليدرس فيها ويبحث . ولكن الله تعالى ذكر تفاصيل مراحل خلق الانسان ، وذلك لأن أول قضية يبحث فيها الانسان ، وتأخذ كل اهتمامه ، هي قضية خلقه هو ، أما تفاصيل خلق المخلوقات الأخرى فلا تُهمه شخصيا .. لذلك عندما جاء ذكر جنين الانسان في القرآن ، ذكره الله تفصيلا ، وعندما جاء ذكر خلق المخلوقات الأخرى ، ذكره الله إجمالا .

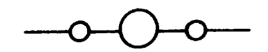
وعندما يكبر الجنين ويكبر الرحم ، يخرج من بين عظام الحوض المنيع الى تجويف البطن . وتجويف البطن لا تحميه عظام ، وذلك يسمح للجنين بالنمو في يسر وسهولة وارتياح . لكن وجود الرحم في تجويف البطن ، يعرض الجنين للاصابة .. ولكن الله تعالى لا يترك خلقا دون رعاية ، ولا يدعه دون حماية . فقد خلق حول الجنين كيسا به ماء يسبح فيه الجنين ، وتتلقى المياه الصدمات الخارجية وتحمي الجنين منها . ويعيش الجنين في ظلام هذا الكيس ، الذي لا

يخترقه ضوء ولا ماء ولا هواء . والرحم بجداره السميك يحتوي الجنين وكيس الماء معاً . وهذا يسبب للجنين ظلاماً ثانياً . وجدار البطن يحتوي احشاء البطن كلها . وجدار البطن ظلام ثالث كثيف حول الجنين . وهكذا علمنا من علم التشريح ، أن الجنين عندما ينمو يعيش داخل ثلاثة جدران لا تخترق كل منها ظلام .. وفي داخل هذه الجدران الثلاثة ، يعيش جنين الانسان ويتطور خلقا بعد خلق ، حتى يخرج من بطن أمه طفلا .

واستمع الى خالق الخلق سبحانه يذكر لنا ما استطاع العلم البشري أن يفهمه في العصر الحديث فقط اقرأ في سورة الزمر (٦) قوله تعالى « **يَخْلُقُكُمْ في بُطُون أمهاتِكُمْ خَلْقاً منْ بَعْدِ خَلْق في ظُلُمات ثلاثٍ ذَلِكُم الله رَبُّكُمْ . له المُلكُ . لاَ إِلَه الاَّ هُوَ فأنَّى تُصْرَفون** » فانظروا الى البيان العلمي العظيم وتمعنوا في قوله تعالى « **خَلْقاً من بَعدِ خَلْق** » الذي يشير الى المراحل المتعددة لتكون الجنين .. ثم فكر في قوله تعالى « **في ظُلُمآتٍ ثَلاثٍ** » التي استطاع العلم البشري الحديث أن يفهم معناها ..

إنه علم إلهي ، وبيان دقيق لمراحل الخلق في الرحم . تلك المراحل التي كانت مجهولة تماماً لأي عالم في الدنيا .. ليس وقت نزول القرآن الكريم فحسب ، ولكن بعد نزوله أيضا بثلاثة عشر قرنا من الزمان .

فما أعظم الخالق المبدع العظيم .. وتعالى الذي أحسن كل شيء صنعا . « **الاَ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبارَكَ الله ربُّ العَالمين** » .



٢- خَلق الجَنــين

بعد تكون النطفة من اتحاد حيوان منوي بالبويضة ، تعيش النطفة فوق الغشاء المخاطي المبطن للرحم لفترة قصيرة ، وسرعان ما تجد نفسها قد كبرت في الحجم وصارت في حاجة الى غذاء أكثره لا يتوفر لها وهي على حالتها تلك . فتتجه الى جدار الرحم – تسيرها قوةٌ خفيةٌ قادرةٌ مدبرةٌ – وتتعلق به وتتصل بوساطة الأوعية الدموية ، وتأخذ من دم الأم من الغذاء ما يكفيها ويكفي نموها .. وبذلك يتطور الخلق من **النطفة** الى طور جديد هو **العلقة** .. وسميت كذلك نسبةً الى تعلقها بجدار الرحم . وتكبر العلقة شيئا فشيئا حتى تصبح كتلة من الأغشية الخلوية ، تشبه في الشكل قطعة من غشاء ممضوغ .. من أجل ذلك سميت **مضغة** .. فالمضغة إذن علقة كبرت وتطورت .

وينمو الجنين ويتطور تطورا سريعا ونشيطا .. وتظهر أعضاء الجسم واحدا بعد الآخر .. وأول الأعضاء في الظهور ، هي غضاريف عظام السلسلة الفقرية وبعد تكون تلك العظام تظهر الخلايا العضلية ، وتتكون العضلات . والعضلات لا تتكون قبل تكون العظام .. لأن وظيفة أية عضلة في الجسم ، هي الاتصال بعظمتين بينهما مفصل ، فوظيفة العضلات في الجسم تحريك المفاصل . ولا بد للعضلة أن تلتصق بأحد العظام .. ولا عمل للعضلات الا بوجود العظام من أجل ذلك خلق الخالق عظام الجنين أولا .. ثم خلق العضلات من بعد ذلك .

ولما كانت أول العظام التي تتكون هي فقرات العمود الفقري .. فكان لا بد اذن أن تتكون العضلات بجوار تلك الفقرات في الظهر والعنق .. وعندما تكونت عظام الأطراف ، هاجرت كل عضلة من مكان نشأتها الى مكانها الذي خُلقت من أجله .. واتجهت الى العظمة التي سترتبط بها وتستقر فوقها بصفة دائمة .

فمثلا عضلات العضد والذراع تكونت في أول الأمر بجوار فقرات العنق في

الجنين ، وتغذيها أعصاب عنقية .. وبعد ذلك هاجرت الى عظام العضد والذراع واليد والأصابع .. واستقرت فوقها وكستها من كل اتجاه كساء . ومن العنق ، تسحب العضلات معها ، أعصابها العنقية الى مقرها الدائم الجديد .. لهذا نجد أن عضلات اليد مثلا تصل اليها اعصابها من فقرات العنق .

وعضلات الفخذ والساق والقدم .. تتكون بجوار الفقرات القطنية في الظهر وبعد تكونها تترك مكانها وتهاجر الى مقرها الدائم فوق عظام الفخذ والساق والقدم وتكسوها من كل اتجاه .. ساحبةً معها أعصابها من أسفل الظهر .. لهذا نجد أن عضلات القدم مثلا تصل اليها أعصابها من أسفل العمود الفقري .

وهكذا نرى أن كل عضلات الجسم تكونت بجوار عظام العمود الفقري ، ثم هاجرت بعد ذلك الى عظام الأطراف .. وكستها من كل اتجاه في نظام دقيق بديع .

واذا نحن نظرنا الى أطوار خلق الجنين ، لوجدنا أن النطفة تكونت أولا من اتحاد الحيوان المنوي بالبويضة .. وخُلق الرحم في مكان منيع محاط بعظام الحوض القوية ، وفي مركز الجسم حيث تكون الحركة قليلة جدا .. هنالك تخلق النطفة الحساسة ، وتحفظ في قرار مكين . وبعد ذلك صارت النطفة علقة ، ثم كبرت فصارت مضغة ، ثم ظهرت الأعضاء وأولها كانت العظام ثم تكونت بعد ذلك العضلات التي هاجرت الى عظامها التي خلقت لتستقر فوقها وكست العظام من كل اتجاه .

هذه هي بعض تطورات الخلق في الجنين .. وكما ذكرنا من قبل ، أن القرآن الكريم نزل في زمن كان يجهل العلم البشري فيه عن الجنين كل شيء .. وفي وسط هذا الظلام الدامس من الجهل في العلوم البشرية ، أشرق نور القرآن الكريم . وشرح تطورات خلق الجنين في الرحم ، التي لم يتوصل العلم البشري الى فهمها الا في القرن الحالي ، وذلك في دقة وايجاز معجز بديع .. استمع معي الى قول الله تعالى في سورة المؤمنون (١٢ – ١٤) **وَلَقَدْ خَلَقْنا الإِنْسانَ مِنْ سُلاَلَةٍ من طِين . ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكينْ . ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً .**

فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخرَ . فَتَبارَكَ الله أحْسَنَ الخالِقِين » هذا ما قاله القرآن الكريم منذ قرون عديدة ، لم يكن العلم أثناءها يعرف عن كل ذلك شيئا أبدا .. جاء القرآن الكريم بما لم يستطع علمنا الحديث أن يصل اليه كله .

أريد من كل إنسان أن يتأمل هذه الحقائق ، ويفكر فيها ، ولن يستغرق منه ذلك وقتا طويلا ، حتى تنبلج له الحقيقة ، ويغمرَ وجدانه نور الحق واليقين .



هِجرَةُ الغُدَدِ التَّناسُلِيَّة

استطاع العلم البشري في العصر الحديث ، أن يصل الى فهم تكون الغدد التناسلية في الرجل والمرأة معا . فهي تنشأ في الجنين في النتوء التناسلي ، بين عظام الترائب وعظام الصلب . وقال الله تعالى في سورة الطارق (٥ – ٧) « **فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ مِمَّ خُلِقْ . خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقْ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلبِ والتَّرائِبْ** » ولا شك أن كثيرا من الناس وقت نزول القرآن الكريم ، لم تفهم معنى هذه الآيات الكريمة . لأن العلم البشري عن الأجنة في ذلك الوقت ، لم يكن يتصور ، الا أن الجنين سرٌّ غامض لا يدري عنه شيئا . ولم يصل علم البشر الى تفهم بعض ما جاء بالقرآن الكريم عن ذلك ، الا في العصر الحديث ، وذلك عندما تقدم علم الأجنة ، وكشف من مراحل تكوين الجنين جانباً كبيراً . والقرآن الكريم لم ينزل الى زمن من الأزمان فحسب ، بل نزل الى كل الأزمنة .. وكل زمن من الأزمان ، ينهل من العلم الالهي ما يتسع له علمه وفهمه ، ليفهم الانسان القانون ، ويعي المنهج الذي ينبغي أن يسير على هداه .

وكلما كبر الجنين تحركت الغدد التناسلية ، في طريق هجرتها من مكان نشأتها ، في الظهر الى أسفل البطن . وهجرةُ الغدد التناسلية لم تكن معروفة حتى في القرن الماضي . ويتجه المبيض الى الحوض ويستقر فيه . أما الخصية فلها شأن آخر . فهي منشأ الحيوانات المنوية .. ومن طبيعة هذه الحيوانات أن تعيش في درجة حرارة أقل من درجة حرارة الجسم .. ولو عاشت داخل البطن لتوقف نموها .. لذلك لا يتوفر المناخ المناسب للخصية ونمو الحيوانات المنوية بها إلا اذا كانت خارج البطن . لذلك تهاجر من مكان نشأتها في الظهر الى خارج البطن في كيس خاص بها .. كيس يقربها في الجو البارد من البطن لتدفأ .. ويبعدها عنه في الجو الحار لتبرد .. وهكذا تعيش الحيوانات المنوية في درجة حرارة تناسبها ولا تؤذيها .

وتسحب الغدد التناسلية أوعيتها الدموية وأعصابها الى المقر الدائم الجديد .. لذلك نجد أن شريان وأعصاب كل من المبيض والخصية يأتيان من مكان بين الصدر والظهر ، مكان المنشأ الأول لها . وينشأ الحيوان المنوي في قنوات خاصة تزيد عن الألف في كل خصية .. والحيوان المنوي خلية عجيبة الشكل غريبة الحركة . فله رأس كمثري الشكل ، وله عنق وجسم وذيل كالسوط يتحرك به حركة سريعة مندفعا الى الأمام .. وحركته هذه نطالعها تحت المجهر فنرى منظرا عجيبا .. نراه يتحرك بالذيل والرأس معاً .. حركة دودية نشطة ، كحركة الدودة والعلق .

ولم يكن العلم البشري ، يعلم عن الحيوان المنوي شيئا وقت نزول القرآن ، اللهم أن المني « سائل » يمنح الحياة . أما ما هو هذا السائل وماذا به .. فكان ذلك سرا مغلقا .. وأمرا مجهولا . وظل العلم البشري على هذا الحال من الجهل بالحيوان المنوي حتى اخترع المجهر منذ عهد قريب .. ولكن القرآن الكريم لأنه من عند الله تعالى ذكر الحقيقة فقال تعالى في سورة العلق (١ — ٥) « **إِقْرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَق . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن عَلَقْ . إِقْرأ وَرَبُّكَ الأَكْرَمْ . الَّذي عَلَّمَ بالقَلَم . عَلَّمَ الإِنْسَانَ ما لَم يَعْلَمْ** » .

ولم يعرف الحيوان المنوي الا بعد اختراع المجهر. لأنه لا يرى بالعين المجردة ، فطوله لا يزيد عن ٤ — ٥ أجزاء من المليون من المليمتر . فلا يرى اذن ولا يعرف عنه شيء الا بواسطة المجهر .. اذن فقبل اختراع تلك الأجهزة البصرية ، لم يكن من المستطاع للانسان أن يعرف عنه شيئا .. ولا حتى يتخيل وجوده .. ونقرأ في بعض التفاسير القديمة للآية الكريمة ، أن خلق الانسان كان من نقطة دم متجمدة ، وذلك كان نقلا عن نظرية أرسطو التي كانت سائدة في العالم كله وقت نزول القرآن الكريم .

وتقول التفاسير الأحدث إن خلق الانسان كان من « علقة » .. ولا أظن الآية الكريمة تَقصد ذلك فلو كان القصد أن الانسان خلق من علقة .. لذكرت الآية كلمة « علقة » ولكن الآية ذكرت كلمة « علق » حيث تقول « **إقْرأ**

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقْ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن عَلَقْ » .. وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي ذكرت كلمة « علق » .. ومن الملاحظ أنها كلمة نكرة .. فلم يقل « **من العلق** » وانما قال « **من علق** » لتحمل الكلمة معنى التشبيه بالعلق .. أي إن الإنسان خلق من شيء يشبه العلق .. أما كلمة « علقة » فذكرت في خمسة مواضع في القرآن .. وفي كل موضع لم تذكرْ وحدها ، وانما جاءت مع ذكر كلمة النطفة قبلها . ذلك لأن العلقة طور من أطوار خلق الجنين ، يأتي بعد تكون النطفة . ونقرأ ذلك في القرآن الكريم في سورة الحج (٥) « **فانّا خَلَقْناكُم مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَة** » .

وفي سورة المؤمنون (١٤) « **ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَة** » .

وفي سورة المؤمنون أيضا (١٤) « **فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظَاماً** » .

وفي سورة غافر (٦٧) « **هُوَ الّذي خَلَقَكُم مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَة** » .

وفي سورة القيامة (٣٨ – ٣٩) « **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ منّي يُمنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوى** » .

أما الآية في سورة العلق آية (١) فتقول « **إقْرا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقْ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقْ** » .

من أجل ذلك فان التفسير العلمي لهذه الآية أن كلمة « علق » تعني الحيوان المنوي ولا شيء غيره والله تعالى أعلم بمراده .. وهذا تصور أراه لتفسير هذه الآية تفسيرا علميا على ضوء ما استطعنا أن نصل اليه في العلم الحديث .. وأعود وأؤكد أن علومنا الحديثة متعرضة للخطأ والصواب فلا يجب أن تحمل على القرآن الكريم ولا ينبغي أن نعتبر أي تفسير علمي تفسيرا حتميا للنص القرآني الكريم .

وتبارك خالق الخلق .. بديع السماوات والأرض . رب العالمين .

خلق الذكر والأنثى

قبل تقدم علم الوراثة الحديث لم يكن موضوع خلق الذكر والأنثى معروفا على وجه اليقين للانسان قط . وكانت هنالك افتراضات ونظريات تبين لنا الآن أنه لم يكن لأحدهما من الصحة نصيب . وجاء علم الوراثة الحديث واكتشف أن خلايا جسم الانسان تحمل ٤٦ كروموسوما فيما عدا خلايا الغدد التناسلية في الذكر والانثى وهي الامشاج . فيحمل كل منها نصف عدد الكروموسومات أي ٢٣ كروموسوم فقط . وفي خلية الإنسان كما ذكرنا ٤٦ كروموسوم منها ٤٤ من الكروموسومات الذاتية وزوج واحد من الكروموسومات الجنسية . وتختلف الكروموسومات في خلايا الذكر والانثى في زوج الكروموسوم الجنسي فقط . ولا اختلاف في الكروموسومات الذاتية . ان الخلية في جسم المرأة تحمل زوجا من الكروموسوم الجنسي يشبه شكل اكس (X) ولما كان زوجا فهو (XX) أي أن صفته الجنسية في المرأة هو (XX) أما الخلية في جسم الرجل فتحمل زوجا من الكروموسوم الجنسي بصفته الجنسية (XY) وفي الغدد التناسلية تنقسم الكروموسومات الى نصفين في كل خلية ٢٣ كروموسوما فقط وتحمل كل خلية ٢٣ كروموسوما فقط وتحمل الخلية الجنسية في الرجل وهي الحيوان المنوي وفي المرأة وهي البويضة كروموسوما جنسيا واحد لذلك فان كل بويضة في المرأة تحمل كروموسوم (X) دائما أما الكروموسوم الجنسي في الحيوانات المنوية فهو اما (X) واما (Y) فكل حيوان منوي اما أن يحمل صفة الذكورة أو صفة الأنوثة . واذا اتحد حيوان منوي (X) ببويضة نتج جنين يحمل زوج كروموسوم جنسي صفته (XX) أي أنثى . واذا اتحد حيوان منوي (Y) ببويضة نتج جنين (XY) أي ذكر .

من هذا يظهر بوضوح أن الحيوان المنوي الذي يلقح البويضة هو وحده الذي يحدد جنس الجنين وليست البويضة في المرأة . وهكذا خرج علم الأجنة

الحديث بحقيقة جوهرية وهي أن الحيوانات المنوية في مني الرجل هي التي تحدد وحدها جنس الجنين ذكرا كان أم أنثى . ولم يكن ذلك معروفا للانسان أبدا قبل أقل من ١٠٠ عام فقط . لكن الله تعالى الذي لم يفرط في الكتاب من شيء ذكر للانسان هذه الحقيقة في سورة القيامة(٣٦ – ٣٩)في قوله تعالى « **أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدَى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنثَى** » .

تمعن في كلمات هذه الآيات الكريمة . والمقصود كما نرى من قوله (فجعل منه) أنه يقصد المني .. ولا يعود الضمير على العلقة والاّ لقال فجعل منها إذن فقوله تعالى « **فَجَعَلَ منه الزَّوجَين الذَّكَرَ والأُنثى** » كما قال في الآية الكريمة « **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِّيٍ يُمْنى ثُمَّ كَانَ عَلَقَة فَخَلَقَ فَسَوىَّ فَجَعَلَ منه الزَّوجين الذَّكَر والأُنثى** » يشير صراحة الى أن مني الرجل وما به من حيوانات منوية هو الذي يحدد جنس الجنين ذكراً كان أم أنثى . وهذا ما استطعنا أن نصل الى فهمه مؤخرا عن طريق علم الوراثة الحديث وفي هذا المعنى أيضا جاء كلام الله تعالى في سورة النجم(٤٥ – ٤٦)في قوله تعالى « **وانّه خَلَقَ الزَّوجين الذَّكر والأنثى من نُطْفَةٍ إذا تُمْنى** » فلم يأت ذكر بويضة المرأة في هذا الحديث لأنها لا دخل لها بتحديد جنس الجنين وانما جاء ذكرها في معرض تكون الجنين نفسه من اتحاد حيوان منوي بالبويضة وهما امشاج الذكر والانثي وذلك في سورة الانسان (٢) في قوله تعالى « **انّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيه فَجَعَلْناه سَميعاً بَصيراً** » .

ولا يستطيع العلم أن يتحكم في نوع الجنين فان في مني الرجل في قذف واحد حوالي مائة مليون حيوان منوي أو يزيد منها ما يحمل الصفة الوراثية للانثى (×) ومنها ما يحمل الصفة الوراثية للذكر (Y) وهذه الملايين الكثيرة في الحيوانات المنوية تسرع باتجاه البويضة سابحة في المجاري التناسلية للمرأة وكأن بكل منها عقلاً واعياً فاهما للمهمة التي عليه أن يقوم بها . وما به من عقل .. وانما هي قوة الخالق العظيم الذي يقدر الحياة على من يشاء وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة

القصص ٦٨ : « وربُّكَ يَخْلِقُ ما يَشَاء وَيَخْتَار » وأخيرا ينجح حيوان منوي واحد في تلقيح البويضة ويحدد نوع الجنين وتلقى هذه الملايين الأخرى من الحيوانات المنوية منيتها بعد ذلك مباشرة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال (المني من المنية) .

واختيار حيوان منوي واحد لتلقيح البويضة لا يكون اختيارا عفويا أو شيئا تحكمه الصدفة فلقد أثبت قانون الصدفة والاحتمال في علم الرياضيات استحالة تطبيق قانون الصدفة على أي كائن حي . اذن فاختيار حيوان منوي معين لهذه المهمة هو تقدير خالق الخلق واختياره ولن يستطيع العلم تحديد ذلك أبدا ونستمع الى سورة الشورى (٤٩) لقوله تعالى « لله مُلْكُ السّموات والأَرْض يَخْلُقُ ما يَشَاءُ يَهَبُ لمن يَشَاءُ إناثاً ويَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُور » .



(١) الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان .

صِفاةُ الإنسَانُ وَغرائِـزَه

اذا نحن حللنا رغيفا من الخبز ووجدنا أن عناصره هي نفس العناصر الموجودة في حبة القمح لتأكدنا أن الخبز قد صنع من القمح . واذا وجدنا أن العناصر الموجودة في شراب ما هي نفس العناصر الموجودة في البرتقال لتأكدنا أن هذا الشراب قد صنع من عصير البرتقال . وهكذا اذا كانت العناصر الموجودة في جسم الانسان هي نفس العناصر الموجودة في التراب لعلمنا على وجه اليقين أن جسم الانسان قد خلق من التراب .

فالانسان اذن خلق من الأرض التي يسير عليها خلق منها وسيعود اليها . علمنا ذلك يقينا بعد أن توصل العلم الحديث الى معرفة العناصر في القرن الماضي . أما قبل ذلك فلم يكن العلم البشري يعلم شيئا من ذلك لكن القرآن الكريم أخبرنا عن هذه القضية وصدق الله تعالى اذ قال في سورة طه (٥٥) « **منها خَلَقْناكُمْ وفيهَا نُعيدُكُم ومنهَا نُخرِجُكُمْ تَارةً أُخرى** » وقال تعالى في سورة فاطر (١١) « **والله خَلَقَكُمْ مِن تُراب ثُمَّ من نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُم أَزْواجاً** » .

وعندما يخلق الله النطفة في الرحم ويبث فيها الروح يصير الخلق انسانا فالانسان يصير انسانا من أول خلقه نطفةً في بطن أمه .. وفي خلق النطفة من الأسرار ما لا نعلم منه الا النذر اليسير .. ومن كل خلية عوامل وراثية تسيطر على نشاطه وتحدد صفاته وغرائزه وطباعه وميوله. والعوامل الوراثية في خلق النطفة تأتي من العوامل الوراثية من الأب والأم معا. وهكذا تكون العوامل الوراثية في جنين الانسان من الأبوين وتظل في خلاياه طول حياته. اذن فطباع الانسان وغرائزه وميوله وصفاته تتحدد معالمها تماما والانسان جنين في بطن أمه .

ومن المدهش أن نرى كل هذه الأسرار في نطفة لا يزيد قطرها عن خمس مليمتر فكيف تحمل خلية بهذه الدقة كل هذه الأسرار وكل هذه الدقة المتناهية

في الخلق ؟ . لا يعلم ذلك الا الذي خلقها وصنعها تبارك وتعالى . أما العلم البشري حتى يومنا هذا فلا يدري عن هذه الأسرار الا شيئا يسيرا . وقد كان العلماء وقت نزول القرآن وبعده بقرون كثيرة يعتقدون أن طباع الانسان وغرائزه وميوله تنشأ بعد ولادته وخروجه الى الحياة وتفاعله مع أحداثها ولكن عندما تقدم علم الوراثة الحديث أثبت أن غرائز الانسان وميوله وصفاته انما تتكون وهو ما يزال جنينا في بطن أمه أما بعد أن يعيش في الدنيا فهو يتعلم العرف والقانون ويتعرف على الخلق والقيم والحلال والحرام فيحاول أن يكيف ميوله وغرائزه وطبائعه فيزيدها أو ينقص منها ويطلق لبعضها العنان ويكبت البعض الآخر كل ذلك تبعا لما يمليه عليه تفكيره واعتقاده .

اذن فمادة خلق الانسان هي الأرض والعناصر المكونة لها معروفة ومحددة وغرائز الانسان وطباعه وميوله تحددها العوامل الوراثية التي تنتقل الى الجنين في بطن أمه من العوامل الوراثية التي كانت بالحيوان المنوي من الأب ومن العوامل الوراثية التي كانت بالبويضة من الأم،وهكذا تتجمع العوامل الوراثية من كل من الأب والأم في جنين الانسان،وتحدد بذلك صفاته وغرائزه وميوله وطباعه ولن تتغير أبدا بعد ذلك .

اذن فأساس تصرفات الانسان بدأت من مادة خلقه وهي التراب في الأرض . ومن العوامل الوراثية في الجنين،وكل تصرفاته أثناء حياته انما هي مظاهر لاساس خلقه من الأرض وبعد ذلك في بطن أمه جنينا ولم يعرف الانسان هذه الحقائق الا من خلال علم الوراثة الحديث في هذا القرن فقط ولكن القرآن الكريم سابق بالحقيقة ابدا،لذلك فقد بين كل ما استطعنا أن نفهمه الآن في صراحة ووضوح وذلك في سورة النجم (٣٢) قال الله تعالى « **هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُم مِنَ الأَرْضِ وإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُم فَلا تَزكُوا أَنفُسَكم هُوَ أَعْلَم بِمَنْ اتَّقَى** » هذا بيان علمي رائع وجميل يؤكد أن طباع الانسان وميوله،يكون أساسها من مادة خلقه وهي الأرض ومن العوامل الوراثية التي تكون بالجنين وفي الآية الكريمة من العلم ما لم نصل الى فهم معناه الا منذ عشرات السنين فقط .

ويعلم ما في الأرحام

يمر خلق الانسان في الرحم باطوار كثيرة « خلقا من بعد خلق » وقد تقدم العلم الحديث وتعلم الانسان حقائق كثيرة عن اطوار خلق الجنين حتى ولادته طفلاً .. ولكن هل أحاط الانسان بكل ما في الرحم علماً ؟ . ان العلم الحديث لا يزال قاصراً . بل حقا لقد عرف الطب في عصرنا الحاضر درجة الحمل وصحة الجنين ووصفه .. وقد يعرف ما يجري داخل الرحم من اطوار في الخلق ، ولكنه لا يدرك كنه ما يرى ، ولا يعرف سر ما يحدث .. ولا يحيط علماً بشيء عن تلك القوة الهائلة الكامنة في كل خلية من خلايا الجنين .

إن كل ما يعرفه الطب الحديث عن الجنين بجانب ما يحدث فعلا من اسرار فيه ، لا يعد شيئا مذكورا .. ولن يصل الانسان بعلمه الى معرفة كل ما يجري داخل الرحم أبدا .

ولقد ذكر الله تعالى أشياء في القرآن الكريم اختص بها نفسه تبارك وتعالى فهي عنده وحده ولن تكون عند غيره .. قال تعالى في سورة لقمان (٣٤) « **إنَّ اللهَ عِنْدَهُ علمُ السَّاعةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيعْلَمُ ما في الأَرْحام . وما تَدْري نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وما تَدْري نَفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت . إنَّ اللهَ عَليمٌ خبير** » .

ومن العجيب ان العلم الحديث الذي أوصل الانسان الى أرض القمر وأرسل سفن الفضاء تدور حول الكواكب .. نراه بعلمه هذا يقف عاجزاً أمام معرفة جنس الجنين الذي يحسه بنفسه ويلمسه بيده ويصوره بالأشعة وتراه عيناه !

وقد يدعي نفر قليل من الناس ان العلم في المستقبل سيصل الى معرفة جنس الجنين على وجه اليقين فكيف اذن قال الله تعالى « **ويعلم ما في الأرحام** » . ولن

أدخل معهم في جدل لا طائل من ورائه ولكننا لو افترضنا جدلا صحة ما يدعون من أن العلم سيعرف مستقبلا جنس الجنين فان ذلك لا يتعارض مع ما جاء بالقرآن الكريم من أن الله تعالى اختص نفسه بالعلم بما في الأرحام ، ولذلك أسباب كثيرة أسوقها لهؤلاء الذين يسألون هذا السؤال :

١ – قال الله تعالى « ويعلم ما في الأرحام » ولم يقل تعالى ويعلم من في الأرحام. وجملة « ويعلم ما في الأرحام » تشير الى ما يجري داخل الرحم من فيضٍ وغيضٍ وحمل من أول النطفة الى يوم ولادة الجنين طفلا ومن اعجاز في الخلق ومن اسرار كامنة في كل طور من أطواره .. ويشير الى النشاط العجيب والى القوة الهائلة التي تحول النطفة الصغيرة الى انسان في أحسن تقويم .. وهكذا نجد أن العلم الحديث لم يصل الى قطرة واحدة من حقيقة ما يجري داخل الرحم من خلق وأسرار .

٢ – ان ظن البعض أن العلم سيصل مستقبلا الى معرفة جنس الطفل قبل ولادته فلن يدعي ولا يطمع في أن يعرف جنس الجنين في مراحل الخلق الأولى وقت تكون النطفة والعلقة .. وما يصاحب ذلك من أسرار .

٣ – لا يستطيع علماء الدنيا كلها مهما أوتوا من تقدم ومعرفة أن يعرفوا ان كان جنين ما سيستقر في الرحم الى أن يكتمل نموه أم لا . . ولا يدرى العلمُ شيئا مذكورا عن الوقت المحدد تماما لخروج الانسان من بطن أمه طفلا . . كل ما وصل اليه العلمُ هو من قبيل التكهنات المحسوبة بحساب أيام الحمل المتعارف عليها .

٤ – لا يدرى العلم الحديث السر الحقيقى في كيفية نقل النطفة المتناهية في الصغر في الحجم . جميع خصائص الانسان الذى ستكونه ، وجميع عاداته وطباعة وصفاته وغرائزه وغير ذلك . حقا ان العلم الحديث تعرف أن هناك عوامل وراثية تنتقل من خلايا الآباء الى خلايا الأبناء عن طريق الانتاج . . وقد يصفها العلم وصفاً دقيقاً . . ولكنه يقف عاجزا اذا سأله عن كيفية عمل هذه العوامل الوراثية في تكون الانسان ، وبث الغرائز والطباع فيه .

٥ – ان الله تعالى قال "ويعلم ما في الأرحام" ولم يقل "ويعلم ما في الرحم" فبذلك نعلم أن القرآن الكريم لم يغلق باب العلم بما في الرحم الواحد لمن يستطيع ذلك

ان العلم مهما تقدم فسوف يجد نفسه ما زال واقفا على شاطئ بحر العلم الالهى اللانهائى ، وكلما تقدم العلماء في علومهم ، كلما أيقنوا أنهم ما أوتوا من العلم إلا قليلا .

٦ – وهكذا فان معرفة الانسان ببعض ما يجري من مراحل الخلق داخل الرحم لا تعني أبدا « أنه يعلم ما في الأرحام » تماما كمعرفتنا المحدودة والضئيلة جدا بما في السماوات من خلق ومخلوقات فان رؤيتنا للسماوات رؤية العين ، لا يعني أبدا أننا نعلم ما فيها من خلق وأسرار .

وما أقل ما نعرف عن أسرار الخلق .. وما أضأل علومنا بجانب العلم الالهي اللانهائي وصدق الله تعالى اذ قال في سورة الاسراء « **وما أُوتيتُمْ مِنَ العِلْم الاَّ قَليلا** » ينبغي علينا اذن أن نفهم قوله تعالى « **إنَّ الله عِنْدَه عِلْمُ السَّاعة وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأَرْحام** » . واقرأ في سورة الحج (٥) قولاً حكيماً « **ونُقِرُّ في الأَرْحام ما نَشاء الى أَجَلٍ مُسمًّى** » بلى ، من يستطيع أن يقر في الارحام ما يشاء الى أجل يحدده الا الخالق جل جلاله ؟ ومن غير الله تعالى يعرف الوقت الذي سيخرج فيه الجنين من بطن أمه ؟ .

وفي سورة الرعد (٨) يقول تعالى « **الله يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى وما تغيضُ الأَرْحامُ وما تَزْدادُ وكُل شيء عِنْدَه بِمقْدار** » .



هل كان الإنسان قرداً .. ؟

زعم داروين وزملاؤه أن كل أنواع المخلوقات كانت نوعاً واحداً في بدء الخلق ، نشأ في الماء خلية واحدة منذ عشرات البلايين من السنين . ولا أقول لهؤلاء أن عمر الأرض الجيولوجي كما قدره علم الجيولوجيا الحديث هو حوالي خمسة الآف مليون سنة فقط ، وأن الأرض لم تبرد قشرتها وتصبح صالحة للحياة الامنذ حوالي ثلاثة الآف مليون سنة فحسب ، وأن الزمن الذي حددوه لاكتمال التطور ، لا يمكن أبدا أن يكون قد حدث على ظهر هذا الكوكب . ولن اتحدث في أن كل نظرياتهم بنيت على مشاهدات ، ولا توجد حقيقة علمية واحدة يستندون اليها ، وأنهم احتجوا بعلم الوراثة وساقوه دليلا . ولكني أقول لهم إن علم الوراثة الذي اعتمدوا عليه ، لم ينشأ على أسس علمية صحيحة الا بعد وفاة داروين ١٨٨٢ .

ولننظر ماذا قال علم الوراثة الحديث :

يقول أن الكروموسومات وهي الصبغيات التي توجد في نواة الخلية التي تحمل العوامل الوراثية ، توجد في كل خلية في أجسام الكائنات الحية جميعا ، في الانسان والحيوان والطير والحشرة والنبات . وهذه العوامل الوراثية هي التي تحمل كل الصفات الوراثية والطباع والغرائز والميول وما الى ذلك . وأي تطور في الشكل لا يحدث الا عن طريق هذه العوامل الوراثية ولكن لا يتحول نوع من الخلق الى نوع آخر من الخلق أبدا .

اكتشف الكروموسوم في خلايا الكائنات الحية سنة ١٩٠٣ . وعرف أن الكروموسوم حلزون طوله عدة أمتار . ولكنه – ويا للعجب – مضغوط في حيز طوله ٢ – ٣ أجزاء من المليون من المليمتر مع أننا نرى ذلك رؤية العين ، الا أننا لا نعلم حتى الآن ولا أحد يدري غير الله تعالى كيف يحدث ذلك .. وعلى هذا الشكل الحلزوني تحمل العوامل الوراثية على شكل تركيب ذري دقيق

يحتاج وصفه الى حديث طويل لا يفهمه الا العلماء في علم الوراثة .

وعدد الكروموسومات في خلايا المخلوقات الحية قد يختلف من نوع الى آخر . ولكل عدد ثابت في كل نوع ومميز له . ويختلف العدد اختلافا كبيرا .. ففي حين أن عدد الكروموسومات في خلايا أحد القشيريات الصغيرة ١٥٠٠ ، وفي خلايا بعض السرخسيات النباتية ٥٠٠ كروموسوم فانه يوجد في ديدان الاسكارس ٤ فقط وفي الأرنب ٤٤.وفي سنة ١٩١٢ اكتشف العلماء أن عدد الكروموسومات في أقرب القرود شبها بالانسان وهي أنواع الغوريلا والشمبانزي ٤٨ كروموسوم .

واستنادا الى نظرية داروين أن الانسان كان قردا ، فقد ظل علماء الوراثة منذ سنة ١٩١٢ يعتقدون أن عدد الكروموسومات في الانسان لا بد أن تكون ٤٨ كروموسوما أيضا .. وظل العلماء يحاولون فحص الكروموسومات في خلية الانسان حتى نجحوا في ذلك سنة ١٩٥٦ .

في سنة ١٩٥٦ رأى العلماء كروموسومات خلية الانسان ودرسوها لأول مرة دراسة علمية دقيقة . واكتشفوا أن عدد كروموسومات خلية الانسان ليست ٤٨ كروموسوما كما كان الاعتقاد من قبل ولكنها ٤٦ فقط . وأصبح ذلك حقيقة علمية لا تقبل الجدل .. وظهر بوضوح أن أقرب القرود شبها بالانسان تحمل عددا من الكروموسومات يختلف عن العدد الذي يوجد في الخلية البشرية . وهذا دليل علمي على أن القرد نوع من الخلق يختلف عن نوع الانسان .

اذن فالقرد نشأ قردا وظل قردا . وأن الانسان نشأ انسانا وظل إنسانا وأن أول انسان خلق في الدنيا خلق إنسانا .

ويعلمنا القرآن الكريم هذه الحقيقة عندما بين أن أول خلق الانسان كان آدم .. واقرأ في سورة طه (١١٦) قوله تعالى « **وإذ قُلْنَا لِلملائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ** » وفي سورة آل عمران (٥٩) نقرأ قوله تعالى « **إنّ مَثَلَ عيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُرابْ** » وفي سورة الأعراف (١٩) يقول تعالى « **ويا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجنَّة** » وفي سورة ص (٧١) يقول تعالى « **اذ قالَ ربُّكَ**

لِلملائِكَةِ إنِّي خَالِقٌ بَشَراً من طين » . ولقد أصبح واضحا الآن بعد تقدم العلم الحديث ، أن النوع البشري كله خلق من بدء خلقه من أصل واحد ، ومن نفس واحدة . ولم يحدث التطور المزعوم من نوع من الخلق الى نوع آخر ، كما ادعى داروين ومن سبقوه أو اتبعوه . . وتعالوا بنا الى العلم الالهي في القرآن الكريم . الذي لو اتبعناه ما ضللنا أبدا . . تعالوا نقرأ في سورة الفرقان (٥٤) قولا كريما « **وهو الذي خَلَقَ مِن الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وصِهراً** » ومعنى ذلك أن الانسان منذ نشأته من الطين وهو إنسان . وهذا تكذيب صريح لنظرية التطور وهو ما استطاع العلم الحديث أن يصل اليه .

ويؤكد القرآن الكريم للناس هذا المعنى .. والانسان لا يفهم هذا العلم حينا ، ويشطح في شطحات النظريات المخطئة حينا آخر . حتى استطاع في العصر الحديث أن يدرك من الحقيقة قدرا كبيرا ، اقرأ العلم الصحيح والبيان المعجز في القرآن الكريم اقرأ في سورة السجدة ٧ « **الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَه . وبدأَ خَلْقَ الإنْسانِ من طِين** » وأكد هذا المعنى في سورة الأنعام ٩٨ في قوله تعالى « **وهو الذي أَنشأَكُم مِن نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌ ومُسْتَوْدَع قد فصَّلنا الآياتِ لِقَومٍ يَفْقَهونْ** » .

ولقد انتصر العلم الحديث للقرآن الكريم وصدق الله تعالى إذْ قال « **إنَما يَخْشى الله من عِباده العلماء** » ولم يكن العلم ضد الدين كما زعم هؤلاء العلماء في القرن الماضي ، وقد يكون ذلك صحيحا ضد أي دين آخر .. أما أمام القرآن فلسوف يسير العلم البشري وراءه وينتصر له . ان ما جاء بالقرآن الكريم هو الحق .. والحقائق العلمية التي ذكرها القرآن الكريم يخاطب بها العقل دائما فلا يعقلها الا المتعلمون الذين يفكرون ويفقهون .. لذلك عقب الله تعالى في الآية الكريمة الأنعام ٩٨ « **قَدْ فَصَّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَفْقَهون** » وعقب في آيات كثيرة بقوله تعالى (الرعد ٤) « **إن في ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلون** » وفي آية أخرى (الرعد ٣) « **إن في ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَتفَكَّرون** » وفي آية أخرى (النحل ٦٥) « **ان في ذلك لآية لِقَومٍ يَسْمعُون** » وفي آية أخرى (الأنعام ٩٧) « **قَدْ فَصَلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَعْلَمون** » وفي آية أخرى (العنكبوت ٤٣) « **وتِلكَ الأمثالُ نَضرِبُها للنَّاس وما يَعقِلُها الاَّ العالمون** » وفي سورة البقرة ٢٦٦ « **كذلِكَ يُبيِّن الله لَكُم**

الآياتِ لَعلَّكُم تَتَفَكَّرون » وفي سورة الأنعام(٦٥) « **انْظُر كَيفَ نصرِّف الآيات لعلَّهم يَفْقَهوَن** » .

اذن فالقرآن الكريم يحض على العلم والتفكر والتدبر وأعمال العقل والفهم وليس ضد ذلك أبدا كما زعم داروين .. ولكننا نعطي العذر لداروين وأمثاله فلقد كان من سوء حظهم أنهم لم يدرسوا القرآن الكريم ولم يقرأوه .. ولو قرأوا القرآن الكريم ودرسوه لأضاء لهم طريق البحث العلمي ولأخذ بيدهم بعيدا عن التيه والضلال ولأوصلهم الى الحق والصواب .

أريد أن يفهم أولادنا وهم يقرأون هذه النظريات .. أنها عارضت القرآن الكريم في قضية نشأة الخلق .. وأن العلم الحديث أظهر خطأها في هذه القضية .. أريد أن يفهم الجيل الجديد أن ما جاء به القرآن الكريم من حقائق علمية منذ أربعة عشر قرنا لم تصل اليه علوم البشر ولم يدرك بعضه علماء الدنيا كلها الا من عشرات السنين فقط ..



الباب الخامس

الموت والحياة

دورات الموت والحياة

ان الموت والحياة يكونان معا دورة واحدة ، تبدأ بالموت الذي تعقبه الحياة . انها دورة مستمرة في الكون كله في جميع المخلوقات لا تنتهي ولا تتوقف . ولو أمعنا التفكير في هذا الكون على ضوء علومنا الحديثة ، لوجدنا أن للموت والحياة أكثر من دورة وليس دورة واحدة فحسب . انها ثلاث دورات أو أكثر للموت والحياة .

الدورة الأولى للموت والحياة :

ان مكونات جسم الانسان من العناصر هي نفس مكونات التراب منها . وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يكون جسم الانسان أصله من التراب . وما دامت معظم مادة الجسم من الماء فان خلق جسم الانسان لا بد أن يكون من تراب وماء . والتراب والماء يكونان الطين . وكذلك توصل العلم الحديث الى مراحل تكون الخلق داخل الرحم وان كان لا يدرك أسرارها .. فيخرج الانسان طفلا ثم يكبر ويصير شابا .. وقد يعيش الى عمر طويل .. ثم يموت حينما ينتهي أجله .. ويعود جسمه بعد الموت ترابا مرة أخرى .. فهو اذن تراب عاد الى تراب .

وتستمر الدورة من الموت والحياة على أساس وراثي في نسل آدم ثم على أساس ما يكتسبه الجسم من غذائه من الأرض من عناصر التراب .

انها دورة دائمة لا تنتهي منذ بدء الخلق الى أن يشاء الله . وما دام جسم الانسان في حياته الدنيا كان مسبوقا بحالة الموت فلا بد أن مكونات أجسام البشر قبل حياتهم الدنيا كانت في تراب الأرض . وعندما بث الله في النطفة سر الحياة صار كل منهم في الدنيا انسانا . وعندما يموت الجسم يرجع مرة أخرى الى حيث كان من قبل ، الى التراب . إنها دورة عجيبة من الخلق لا يكاد يحيط بها العقل البشري احاطة تامة . . وقد ذكرها القرآن الكريم في سورة البقرة (٢٨)

قال تعالى « كَيْفَ تَكْفُرون بالله وكُنْتُم أمْواتاً فأحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُـمَّ يُحيِيكُم ثُمَّ إلَيه تُرْجَعُون » .

وخلق جسم الانسان من تراب ثبت علميا بعد اكتشاف العناصر في علومنا الحديثة . ولم يكن أحد يدرك حقيقة الخلق الا من خلال القرآن الكريم الذي قرر هذه الحقيقة في عدد من المواضع . اقرأ في سورة فاطر (١١) قولـــه تعالى « والله خَلَقَكُمْ مِنْ تُراب ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعلكم أزْواجا » وفي سورة آل عمران (٥٩) قال الله تعالى « إنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون » وفي سورة الكهف (٣٧) قال الله تعالى « أكَفَرتَ بالَّذي خَلَقَكَ مِن تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سوّاكَ رَجُلا » وفي سورة الروم (٢٠) قال الله تعالى « ومن آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِن تُرابٍ ثُمَّ اذا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرون » ويبين الله تعالى أن الانسان يشبه النبات في خلقه يخرج من الأرض ثم يعاد اليها ترابا ثم يخرج منها بعد ذلك يقول الله تعالى في سورة نوح (١٧ — ١٨) « والله أنْبَتَكُم من الأَرْضِ نَباتاً . ثُمَّ يُعيدُكُم فيها ويُخْرِجُكُمْ إخْراجاً » .

والنبات أيضا يموت ويتحول الى تراب . ثم يحيا من التراب زرعا مختلفا الوانه . ثم يموت ويحيا وهكذا . والأرض الهامدة تموت وتحيا في دورة لا تنتهي .. تحيا بنزول الماء وتخرج من كل زوج بهيج اقرأ قوله تعالى في سورة الزمر (٢١) « ألَمْ تَرَ أنَّ الله أنْزَلَ من السَّماء ماءً فَسَلَكَهُ يَنابيعَ في الأرْضِ ثُمَّ يُخرج بِهِ زَرْعاً مُخْتلفاً ألْوانه ثُم يَهيجُ فَتراهُ مُصْفَرّاً ثُم يجعلهُ حُطاماً إنَّ في ذَلكَ لَذِكْرى لأولي الألْباب » .

وقد يتساءل الانسان كيف تحيا الأرض بعد موتها .. انه مثل حياة الأرض بعد موتها كمثل خروج الانسان حيا بعد موته كلاهما في التراب وكلاهما من الأرض . وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة الروم (١٩) « يُخرِجُ الحيَّ مِن الميِّتِ ويُخْرِجُ الميِّت من الحيِّ ويُحيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوتِها وَكَذلكَ تخرَجُون » انها آية على ايجازها البديع تعد اعجازا علميا عظيما .. فان دورة الموت والحياة في النبات تتصل أمام أعيننا لا نشك فيها . وقد ساقها الآية الكريمة دليلا على دورة

الموت والحياة في الانسان وقال الله تعالى في سورة الحديد (١٧) « **اعلَموا أنَّ الله يُحيي الأَرْضَ بَعدَ مَوتِها قَدْ بينَّا لَكُم الآياتِ لعلَّكُم تعقِلون** » .

ويوضح القرآن الكريم ما خفي على الناس أن المخلوقات الحية والجماد يموت ويحيا ثم يموت ويحيا في دورة دائمة دائبة في الكون كله .. وساق كل ذلك دليلا على حدوث الأمر نفسه للانسان قال تعالى في سورة فصلت (٣٩) « **ومن آياتِهِ انَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فاذا أَنْزَلنا عَليهاَ الماءَ اهتزَّت ورَبَتْ إنَّ الذي أَحْياهاَ لَمُحيي المْوتَى إنَّه عَلى كلِّ شيء قَدير** » .

اذن فالموت والحياة دورة مستمرة دائمة في المخلوقات جميعا في الكون كله تدل على عظمة الله سبحانه وتعالى في خلقه وقدرته في جعل الكون كله في حركة دائبة دائمة مستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وكل ذلك في نظام بديع دقيق يخضع لمنهج علمي واحد ثابت وتبارك الخلاق العظيم .



دورة اخرى للموت والحياة

تدور كل المخلوقات في الكون في حلقة مستمرة لا تنتهي منذ بدء الخلق الى أن يشاء الله وهي الموت الذي تعقبه الحياة فالموت فالحياة وهكذا .. وان الانسان نشأ من التراب وقد خلق الله آدم من تراب ثم يعود مرة أخرى الى تراب وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال (كلكم لآدم وآدم من تراب) هذه دورة أخرى من دورات الموت والحياة .

هذه الدورة أعجب من الدورة الأولى فهي تحدث أثناء استمرار الحياة نفسها تحدث للكائن الحي وهو على قيد الحياة . ففي كل لحظة من اللحظات تدور حركة هائلة في جسم كل كائن حي في الكون كله في الأرض والسماء والبحر والجو . هذه الحركة الهائلة هي حركة الهدم والبناء . والهدم والبناء يحدثان في وقت واحد ، ويسيران جنبا الى جنب في كل لحظة من اللحظات .

ولنأخذ جسم الانسان مثلا .. فكل خلية في جسم الانسان لها عمر وينتهي فكرات الدم الحمراء وقطرها سبع أجزاء من المليون من المليمتر تعيش من ثلاثة الى أربعة شهور وبعد ذلك تموت وتحل محلها خلايا جديدة من نخاع العظام . والخلايا التي تموت تخرج عن طريق الكبد الى الأمعاء ومنها مع الفضلات .. وتتحول الى تراب .. وهكذا تموت خلايا وتعود الى تراب وتحيا خلايا أخرى .. وفي كل مليمتر مكعب توجد خمسة ملايين كرة دم حمراء أي أن بالدم ٢٥ الف بليون كرة دم حمراء . وهكذا يموت في الدم وحده كل دقيقة حوالي ١٨٠ مليون كرة دم حمراء . وينتج الجسم في الدقيقة مثل هذا العدد من الكرات الحمراء الجديدة تحل محل التي ماتت . وصفائح الدم وعددها حوالي ربع مليون في المليمتر المكعب .. تعيش أياما وتموت وتحل محلها صفائح جديدة . والكرات البيضاء في الدم وعددها حوالي ٥ الى ٦ آلاف في كل مليمتر تعيش ساعات فقط ثم

تموت ويخرج نخاع العظام بالجسم عددا مماثلا لتلك الخلايا التي ماتت . وما يقال عن خلايا الدم يقال عن باقي خلايا الجسم الأخرى . فتموت في كل دقيقة آلاف الملايين من الخلايا وتحل محلها خلايا جديدة .

وهكذا تسير الحياة في جسم الانسان جنباً الى جنب مع موت خلاياه . فالموت يهدم الجسم والحياة تبني جسماً جديداً . واننا لو نظرنا الى جسم أي انسان ، فسنرى جسدا آخر لنفس الانسان الذي رأيناه منذ عدد من الشهور .. لقد تغيرت أعضاء جسمه وحلّت محلها أعضاء أخرى .. تغير منه الجلد والشعر اللحم وباقي أعضاء الجسم .. وتغير دمه عدة مرات .

اذن فجسم الانسان يموت وينتهي في شهور معدودات ويبني مكانه جسد جديد .. ومع ذلك لا يموت الانسان بفناء جسده .. بل ان الانسان بشكله وبصورته وطباعه وميوله وأفكاره يبقى ولا يتغير بالرغم من فناء الجسد عدة مرات . ولو كان الانسان يموت بفناء جسده لمات الانسان ولرجع الى الحياة عشرات المرات .

نخرج بذلك بحقيقة ثابتة وهي أن سر الحياة في الانسان مستقل بذاته وغير مرتبط بموت الجسد . ويمكننا الآن أن نفهم أن موت الجسد في الموتة الكبرى لا يعني انتهاء الانسان . فلقد رأينا جسمه يموت مرات عديدة وهو حي يرزق وهذا يعطي دلالة على استمرار الحياة بعد فناء الجسد كله بعد الموت . وما يحدث للانسان يحدث تماما للنبات والحيوان ولجميع الكائنات .. تخرج الحياة من الموت ويخرج الموت من الحياة تماما مثل دخول الليل في النهار ودخول النهار في الليل .. كلاهما مثل لدورة هائلة مستمرة .

ولنستمع الى قول بديع رائع جميل عن كل ذلك في سورة آل عمران (٢٧) « **تُولجُ الليلَ في النَّهارِ وتُولجُ النَّهار في الليلْ وتُخرِجُ الحيَّ مِنَ المَيتِ وتُخرِجُ الميِّتَ مِنَ الحيَّ** » وهي مقابلة جميلة بين فعل الله تعالى في أنه يولج النهار في الليل ويولج الليل في النهار وبين اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي .

(١) Clinical pysiology (Compbell Dickinson)

وهناك ربط جميل بين دورة الموت والحياة في الانسان ومثلها في الأرض وذلك في سورة الروم (١٩) في قوله تعالى « **يُخرِجُ الحيَّ مِنَ الْمَيِّت ويُخرِج المَيِّت منَ الحيِّ ويُحيي الأَرْضَ بَعدَ مَوتِهاَ وكَذلِكَ تُخرَجُون** » وأعطى الله تعالى تشبيها بخروج الحي من الميت بالنواة الجافة التي تخرج نباتا حيا اقرأ في سورة الأنعام (٩٥) قوله تعالى « **انَّ الله فَالقُ الحَبِّ والنَّوى يُخْرِجُ الحَيَّ مِن المَيِّتِ ومُخْرِج المَيِّتِ مِن الحَي ذلكم الله فأنَّى تُؤفكُون** » .

والموت كما ذكرنا ليس معناه العدم فاذا تحول الجسم الى تراب فانه يتحول الى شكل آخر من الخلق وهو التراب . وكل ذرة من التراب كون قائم بنفسه .. وقد يتوه في دراسته العلماء . ولكل ذرة قوة تسيطر عليها وقانون يحكمها . فالموت اذن تحول من شكل من الخلق الى شكل آخر منه . فالموتُ يُخلق كما تخلق الحياة . وتتحول المخلوقات على اختلاف أنواعها وأشكالها عن طريق الموت الى نوع واحد من خلق آخر وهو التراب . من هذا نفهم أن كلا من الموت والحياة مخلوق . وما فهمنا كل هذه الحقائق الا بعد اكتشاف العناصر في القرن الماضي فقط . واستمع معي الى قول الله تعالى يقرر حقيقة خلق كل من الموت والحياة وهو كلام علمي رفيع وذلك في سورة الملك (١ - ٢) « **تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ المُلكُ وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٍ . الَّذي خَلَقَ المَوتَ والحيَاةَ لِيبْلُوكُم أيُّكُم أحْسَنَ عَمَلاً وهو العزيز الغَفور** » ما أجمل هذا الكلام وما أعظم هذا العلم الالهي، وتبارك الذي بيده الملك .



البعث[*]

تحدثنا عن دورتين من الموت والحياة في الكائنات الحية جميعا . دورتين مستمرتين دائما وأبدا تحدثان أمام أعيننا في الكون كله . احداهما تبتدئ من التراب في أية صورة من صور الخلق .. فيصير المخلوق كائناً حياً يتناسل ويتغذى بالعناصر التي في التراب ثم بعد ذلك يموت فيتحول جسده الى تراب مرة أخرى . ومن التراب ينشئ الله خلقاً جديداً .

والدورة الثانية : تحدث للكائن الحي أثناء حياته يموت جسمه عدة مرات ويتجدد وهو حي يرزق . فموت الجسد لا يعني انتهاء الحياة . وفي هاتين الدورتين بعث للحياة بعد الموت للانسان والنبات ولغيرها من الكائنات الحية جميعا . ولو سمونا بفكرنا الى مستوى الفهم للعلم الذي جاء به القرآن الكريم .. لأدركنا حقيقة كبيرة أخرى وهي البعث يوم القيامة .. ولوجدنا أن البعث حلقة ثالثة من بعث الحياة بعد الموت .. تشبه الحلقتين من الموت والحياة اللتين نراهما أمام أعيننا في الحياة الدنيا .

ويحق لنا أن نتساءل ما المانع أن يعود الانسان حيا بعد فناء جسده كله بعد الموت ، ولقد رأيناه علميا يبقى حيا وجسده يفنى ويتجدد جسدا جديدا من بعد جسد ، وان استمرار حياة الانسان لا تتعارض مع فناء جسمه . ان القرآن الكريم أخبرنا عن دورات الموت والحياة الأولى والثانية .. ووضحها لنا في آيات كثيرة وكنا على جهل تام بها . ولم يكن الملحدون يصدقونها ولكن العلم الحديث أثبت ان ما أخبرنا به القرآن كان صدقا .. وما بينه كان حقا.ولقد أخبرنا القرآن عن حلقة ثالثة من الموت والحياة وهي البعث.وهي حلقة غيبية لا مجال للعلم البشري المادي فيها . ولكن لنا عقولا تفهم وتعي .. فما المانع عقلا ومنطقا أن نؤمن بأن الخالق الذي أحيا بعد الموت فيما نعلم،قادر على أن يحيي بعد الموت فيما لا نعلم .

ان البعث حقيقة لا شك فيها اذن .. فلا يعقل أن يخلق الخالق سبحانه وتعالى خلقا دقيقا بديعا جميلا ثم يهدمه بعد ذلك .. ويحوله كله الى تراب فما الهدف اذن من خلق المخلوقات جميعا ؟ .. لا بد أن هناك هدفا والهدف غيبي وهو البعث . ولن تتم مراحل خلق الله فصولا الا بحدوث البعث . ولولا البعث لما تحقق أي هدف لخلق الكون كله ، بما فيه من مخلوقات ، ولأصبح كل ذلك لعبا وعبثا ، وحاشا لله تعالى أن يخلق خلقه لعبا وعبثا . ويبين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء (١٦) « **وَما خَلَقْنَا السَّماء والأَرْضَ وماَ بَيْنَهُماَ لاَعبين** » ويقول تعالى في سورة آل عمران (١٩١) « **الَّذينَ يَذْكُرون الله قِياماً وقُعُودا وَعلىَ جُنُوبِهم ويَتَفَكَّرون في خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْض رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكْ** » ويذكر الله تعالى هذه القضية في سورة ص (٢٧) فيقول جل جلاله « **وما خَلَقناَ السَّماء والأَرْض وما بَينَهماَ باطلاً ذلكَ ظن الَّذينَ كفروا** » فلا يعقل اذن أن يخلق الله خلقا رائعا جميلا ثم يهدمه دون هدف . ولا يعقل أيضا أن يخلق الله مخلوقات أحصاها وعدها عدا ثم لا يعرفها بنفسه . نخرج من ذلك بنتيجة واحدة وهي أن البعث ضرورة لهذه الحياة التي نحياها .

وهكذا يكون الانسان في خلقه كله قد ذاق الموت مرتين وذاق الحياة مرتين . الموت الأول قبل وجوده في هذه الدنيا . ثم حياته الأولى في الدنيا . ثم الموت الثاني بعد الرحيل عن هذه الدنيا . ثم الحياة الثانية يوم البعث في الآخرة . انها اذن موتتان وحياتان .. لا بد أن يمر بهما كل انسان . ويبين الله تعالى ذلك في القرآن الكريم في سورة غافر (١١) يقول تعالى « **قالوا ربَّنا أَمتَّنا اثْنتَيْن وأحْيَيْتَنا اثْنَتَين فاعترَفْنا بذنُوبِنا فَهلْ الى خُروج من سبيل** » .

وقد جعل الله تعالى حلقة الموت والحياة في الانسان والنبات والجماد دليلا على حلقة الموت والحياة الثالثة وهي البعث . ويبين الله تعالى الحقيقة كلها ويشرح القضية بأكملها في ايجاز معجز بديع وذلك في سورة الحج من (٥ – ٨) يخاطب بها الناس جميعا استمعوا معي الى قول الله تعالى « **يا أَيهاَ النّاس ان**

كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ البَعْث فإنَّا خَلَقْناكُمْ من تُراب ثُمَّ من نُطْفَةٍ ثُمَّ منْ عَلَقَةٍ ثُمَّ من مُضْغَةٍ مُخَلَّقةٍ وغَيرِ مُخلَّقةٍ لِنبيِّنَ لَكُم ونُقِرُّ في الأَرْحام ما نَشاءُ إلى أجلٍ مُسمَّى ثُمَّ نُخرِجُكُم طِفلاً ثُمَّ لتَبلُغوا اشدَّكُم ومنكم من يُتَوفَّى ومنكُم من يُرَدُّ الى أرْذل العُمر لكي لا يَعْلَم من بَعدِ عِلْمٍ شَيْئا وتَرى الأَرْض هامِدَة فاذا أنْزَلْنا عَلَيهاَ الماء اهتزَّت وَرَبتْ وانبتَتْ مِن كُلِّ زَوجٍ بَهيجْ.ذَلك بأنَّ الله هُو الحقُّ وانّه يُحيي المَوتى وإنّه علىَ كُلِّ شيءٍ قَدير.وأنَّ السَّاعة آتيةٌ لا رَيْبَ فيها وأنّ الله يَبْعَثُ من في القُبور.ومن النَّاس من يُجادِلُ في الله بِغَير عِلْم ولاَ هُدى ولاَ كِتاب مُنير» .

تمعن في هذا الاعجاز العلمي الالهي .. وهذا الايجاز المبدع .. وهذا البيان الواضح التام . وبعد كل هذا الإيضاح يقول الله تعالى « **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** » حقا ان من يجادل ويعارض هذه الحقائق انما هو في جهل وضلال وما دام في جهل وضلال فلماذا يجادل اذن؟ انه لا يفهم نور العلم في القرآن الكريم الا من رزقه الله حظا من العلم . حينئذ سيعلم ويؤمن أن هناك بعثا بعد الرحيل عن هذه الدنيا . واننا في هذه الدار نيام . وعندما نرحل عن الدنيا سننتبه ونستيقظ من نومنا . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الناس نيام حتى اذا ماتوا انتبهوا) .



النبَاتُ وَأدلّة البَعْث

أهم العمليات الحيوية في النبات هي التنفس والتمثيل الكلورفيلي . وهاتان العمليتان تقوم بهما الأوراق الخضراء في النبات . والتنفس يحدث ليلا ونهارا . ويأخذ الأكسجين من الهواء . أما التمثيل الغذائي الكلورفيلي فهو يمتص غاز ثاني أكسيد الكربون .. ويحول الكربون منه الى مواد عضوية ويخرج الأكسجين الى الهواء بقدر ما يأخذ من ثاني أكسيد الكربون . ويستمد النبات الطاقة اللازمة للتمثيل الغذائي الكلورفيلي من الشمس . لذلك يحدث نهارا فقط . وكمية غاز ثاني أكسيد الكربون في الهواء ضئيلة جدا فهي ٣ حجم في كل ١٠ آلاف حجم من الهواء . ولكن لو حسبنا كميته في الغلاف الجوي للأرض لوجدنا أن الغلاف الجوي يحتوي على ٥٦٠ مليون طن من الكربون كلها مسخرة للتمثيل الغذائي الكلورفيلي للنبات الا أن هذا القدر الهائل من الكربون لا يكفي النبات على الأرض الا ثلاثين عاما فقط ، فلا بد اذن أن يتجدد تكون الكربون من مصادره وذلك يحدث بصورة مستمرة من ناتج عمليات التعفن في الكائن الحي ، ومن ناتج عمليات التعفن والاحتراق في أجسام الكائنات الحية جميعا من انسان وحيوان ونبات . ولولا ذلك لاختفى الكربون من الجو ولمات النبات ولانتهت الحياة من على وجه الأرض .[1]

اذن فالخالق سبحانه جعل الحياة والموت حلقة متصلة بعضها ببعض في نظام محكم دقيق فالكائنات جميعا اذا تحللت أجسامها بالموت أو الاحتراق انتجت كمية هائلة من غاز ثاني أكسيد الكربون التي لا حياة للنبات بدونه .

نخرج بذلك بنتيجتين : أولا : هناك تكامل حيوي بين الحيوان والنبات .

ثانيا : أن الموت ضروري لاستمرار الحياة .

والنبات يتغذى من التربة على الماء والأملاح التي أهمها النيترات وأملاح النيترات

(١) سنن الله الكونية للدكتور محمد الغمراوي .

تتكون في الأرض من فضلات الحيوانات ، ومن تحلل أجسادها بعد موتها . ومن الجو أحيانا . وللماء الأهمية القصوى في حياة النبات . واقرأ ذلك في سورة الحج (٦٣) « **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** » وفي سورة الأنعام (٩٩) « **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ** » .

والانسان في حياته يحتاج الى النار . والنار تحتاج الى وقود . والوقود باختلاف أنواعه أصله من الشجر . فهو اما أن يكون خشباً أو فحماً أو زيتاً أو نفطاً . وكلها من مصادر نباتية . وقد بين القرآن الكريم أن كل نار كان وقودها أصلا من الشجر اقرأ في سورة الواقعة (٧١ – ٧٢) قوله تعالى « **أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** » .

ولا بد لحدوث النار من وجود غاز الأكسجين فهو الغاز الذي يساعد على الاشتعال . واذا لم يكن موجودا فلا تشتعل النار أبدا . والأكسجين يتكون من ناتج التمثيل الحيوي في النبات الأخضر ولم يكن ذلك معروفا من قبل . ولكن القرآن الكريم بين هذه الحقيقة في سورة يس (٨٠) في قوله تعالى « **الَّذي جَعَلَ لَكُم من الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فاذا أَنْتُمْ مِنه تُوقِدون** » وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي ذكرت كلمة « الشجر الأخضر » . ونفهم منها أن حدوث النار مترتب على خضرة الشجر قال تعالى « **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا** » وهذه هي اشارة الى أن سرا كبيرا من أسرار النار قد وضعه الخالق في خضرة الشجر .[1]

ولو تعمقنا في التفكير في هذه الآية الكريمة لوجدنا بها دليلا من أدلة البعث فكيف كان ذلك ؟ .

ان التمثيل الغذائي الكلوروفيلي في النبات يعطي غاز الأكسجين يساعد على اشتعال النار . ولولاه لما اشتعلت أي نار اذن فهناك علاقة مباشرة بين اخضرار النبات واشتعال النار ، والنار يوقد بها . ومن نواتج الاحتراق تتكون كميات كبيرة من غاز ثاني أكسيد الكربون التي عليها حياة النبات ولا حياة للنبات بدونه .. وهكذا فان احتراق أي شيء وموته يعطي أسبابا لحياة

(١) القرآن في عصر العلم للدكتور محمد الغمراوي .

خلق جديد . وان من موت مخلوقات حية تنشأ الحياة لمخلوقات حية أخرى . فهي حلقة متصلة ومستمرة من التوازن الحيوي بين الانسان والنبات والمخلوقات جميعا ودورة مستمرة من موت تعقبه حياة وحياة يعقبها موت وهكذا . دورة يتداخل في بعضها البعض . نتيجتها واحدة . وهي ان أي موت تعقبه حياة . وهكذا تكون النار واشتعالها واحتراق الأشياء فيها ونواتج الاحتراق كلها ، سلسلة متصلة ، من ان موت كائنات حية يعطي الأسباب لبعث الحياة في كائنات حية أخرى . وهذا دليل محسوس على أن الحياة الدنيا سيعقبها موت وسيعقب هذا الموت بعث للحياة من جديد . من أجل ذلك كانت الآيات التي سبقت الآية الكريمة التي قرأناها كانت تتحدث عن البعث وساقت النار دليلا عليه[1] اقرأ معي قول الله في سورة يس (٧٨ – ٨١) « **وضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسيَ خَلْقَهُ قال مَنْ يُحيِي العِظامَ وَهيَ رَميمْ . قُلْ يُحْيِيها الَّذي أنْشَأها أوَّل مرَّة وهوَ بِكلِّ خَلْقٍ عَليم . الَّذي جَعَلَ لَكُم مِن الشَّجَرِ الأَخضَرِ ناراً فَإذا أَنْتُمْ مِنهُ تُوقِدونْ . أولَيسَ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ بقادر عَلى أنْ يَخْلقَ مِثْلهم بَلى وهوَ الخلاَّق العليم** » .

هذا بيان علمي الهي عظيم لقضية البعث ذكره الله تعالى في اعجاز عجيب لا يأتي بمثله البشر، يبين لنا جانبا من أحكام الخلق في النبات . وساقه دليلا من بين الأدلة الكثيرة على حقيقة البعث . ليفهم الانسان حقيقة خلقه . وهكذا نرى أن أدلة البعث تجري في أمور كثيرة أمام أعيننا . ولو فكرنا فيها وتأملناها على ضوء علومنا الحديثة لظهرت أمامنا الحقيقة واضحة جلية . إن ما جاء بالآية الكريمة من علم عظيم لم يصل الانسان الى فهمه الا في العصر الحديث فقط، أما وقت نزول القرآن وحتى بعد نزوله بقرون كثيرة، لم يكن العلم البشري يدرك أي شيء من هذه الحقائق في علم النبات. وسيظل القرآن الكريم يعلم الانسان في كل عصر من العصور بقدر ما يتسع له علمنا البشري ويعطينا مزيدا من العلم والمعرفة ويضيء لنا الطريق .

---

(١) القرآن في عصر العلم للدكتور محمد الغمراوي .

الباب السادس

خلق الكون

بدء الخلق

تقول النظريات العلمية عن نشأة الخلق لداروين وكلود بيرنارد وغيرهما ، أن خلق الانسان ابتدأ من الماء وأن خلق المخلوقات جميعا نشأ في الماء خلية واحدة تكاثرت شيئا فشيئا بمرور آلاف من السنين ، وصارت أنواعا من الخلق ولهم في ذلك تفسيرات علمية واجتهادات كثيرة[1] لكنها جميعا لا تستند الى مشاهدات من العلم مدروسة ، ولا تعتمد على دليل من العلم ثابت . هذا ما جعل العلماء أنفسهم فيما بينهم يختلفون ويزعم كل لنفسه مدرسة وتفسيرا . ولا يوجد دليل علمي على أن الحياة نشأت عند بدء الخلق في الماء كما زعم هؤلاء العلماء واذا كثر الجدل بين العلماء وزاد الخلاف بينهم دل ذلك على أن الحقيقة ما زالت منهم بعيدة المنال ، أما نحن فلماذا نتوه ولماذا نضل وأمامنا نور الحق والعلم الأصيل ، القرآن الكريم ، ان كل نظريات العلوم البشرية عن بدء الخلق لا تستند الى دليل أكيد ولا تقوم على حقيقة واضحة وإنما الأمر استنتاج حينا وتخيل حينا وشطحات من الفكر في معظم الأحيان . ذلك لأن أحدا من البشر لم يطلع على نشأة الخلق كما لا توجد أية مشاهدة علمية تدلنا عليه . ولنستمع الى قوله تعالى يبين لنا هذه الحقيقة في القرآن الكريم قال الله تعالى في سورة الكهف (٥١) **« ما أشهَدتهم خلق السَموات والأرْضَ ولا خلق أنفُسهم وما كُنْتَ متّخذ المضلين عضدا »** .

إذن فبدء الخلق كان مجهولا للانسان وليس أمامنا من حق الا ما جاء به القرآن الكريم ، تعالوا نستمع الى القرآن الكريم عن بدء الخلق قال الله تعالى في سورة هود (٦) **« وهو الذي خَلَقَ السّموات والأرضَ في ستّةِ أيامٍ وكانَ عرشهُ على الماء ليبلوكُم أيُّكُم أحسن عملا »** نفهم من هذه الآية الكريمة أنه في بدء الخلق كان الماء وأن الله تعالى خلق الماء قبل خلق المخلوقات جميعا في هذه

(1) Pathology for Physicians (Boyed)

الأرض ، ولا نعرف على أي شكل كان هذا الماء ، ولا كيف كان . فالآية الكريمة ذكرت الحقيقة فحسب .

وهكذا أسلوب القرآن الكريم لا يتعرض للتفاصيل العلمية ، وإنما يبين القضية العلمية ويوضح أمرها للانسان ثم يتركه بعد ذلك ليفكر ويبحث ويتعلم كل ذلك بعد أن يؤدبه ويصقله ويعطيه المنهج الصحيح ليسير عليه ، ونعرف أن هذه الآية الوحيدة في القرآن التي ذكرت أن عرش الله تعالى كان على الماء وأن الماء أول ما خلق الله تعالى ، وإذا اختلف العلماء في كيفية بدء الخلق في الماء ، فان مرد اختلافهم أنهم بعدوا عن الحق ، أما القرآن الكريم فقد ذكر الحقيقة كلها عن بدء الخلق ، فلم يكن بدء الخلق في الماء ، وإنما بدء الخلق كان من الماء ،

وأن الماء أول ما خلق الله تعالى واذا اختلف العلماء في كيفية بدء الخلق في الماء فان مرد اختلافهم أنهم بعدوا عن الحق أما القرآن الكريم فقد ذكر الحقيقة
كلها عن بدء الخلق فلم يكن بدء الخلق في الماء وإنما بدء الخلق كان من الماء

وذلك يهدم النظريات التي ادعت أن الكائنات الحية كلها نشأت في بدء الخلق في الماء خلية واحدة . واقرأ قول الله تعالى في سورة النور (٤٥) « **والله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن ماء** » فخلق المخلوقات جميعا من الماء ، وأكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في سورة الفرقان (٤٥) قال الله تعالى « **وهو الذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَرا فَجَعَلَهُ نسباً وصِهراً وكانَ رَبُّكَ قَديرا** » ان أسلوب الآية الكريمة في سورة النور التي تقول « **والله خلقَ كُلَّ دابةٍ من ماء** » أسلوب تقريري وحقيقة عامة لا تقبل الجدل ، أما الآية الكريمة في سورة الفرقان والتي تقول « **وهو الذي خَلَقَ منَ الماءِ بَشرا فجعلَهُ نسَباً وصِهراً** » فهو أسلوب اختصاص وتعريف الخالق والمخلوق وكلمة (وهو) تأكيد للخالق أنه هو وليس غيره .

ان اللجاج والجدل في الانسان يكثر في قضية خلقه هو وليس صلب الجدل في خلق الدواب . من أجل ذلك كان لا بد من أسلوب اختصاص ليحمل معنى التأكيد والتحدي والرد الجازم لمن يسأل لوضع الاجابة الشافية لأي منكر لهذه القضية ، وكلمة « الماء » في الآية كلمة معرفة بـ (أل) التعريف

وتعريفها يحمل معنى التأكيد والتحدي ، بمعنى أن هذا هو الماء الذي تعرفونه جميعا فاخلقوا ان استطعتم منه بشرا . وهكذا نرى أن الآية الكريمة التي تخبر الانسان بخلقه من الماء تحمل التأكيد والتحدي في كل كلماتها ، أما الآية الكريمة التي تقرر أن خلق الدابة من الماء « **واللهُ خلقَ كلَّ دابَّةٍ من ماء** » فقد جاءت في أسلوب تقريري تقرر حقيقة لا تقبل جدلا وكلمة « ماء » جاءت نكرة ، لأن حكم القضية في خلق كل دابة من ماء لم يعلن لشخص متشكك فيه ، أما الآية التي تعلن للمتشكك فقد عرفت الخالق وعرفت مادة الخلق وعرفت المخلوق . وصدق الحق وتبارك تعالى إذ قال (**وهو الذي خلق من الماء بشرا**) .

ان كل كلمات القرآن الكريم مفصلة تفصيلا مطلقا ، يعجز عنه الناس جميعا وهكذا يبين لنا القرآن الكريم حقيقة بدء الخلق في دقة علمية واحكام بالغ بعد أن عجز العلم البشري عن فهم ذلك زمنا طويلا .



الماء

لا أحد يدري غير الله تعالى كيف خلق ماء البحار عند بدء الخلق . ولا بد أن يكون الماء قد خلق حينئذ على شكل من الأشكال . ويقول علم الجيولوجيا أنه في بدء الخلق خرج الماء من باطن الأرض على شكل بخار وكان ذلك مع المواد المنصهرة التي خرجت بواسطة البراكين . ولا زال بخار الماء يخرج من باطن الأرض اذا ثارت البراكين حتى يومنا هذا . اذن فالماء الموجود أخرج من الأرض نفسها وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في سورة النازعات (٣٠ – ٣١) « **والأَرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها . أَخرُجَ مِنها ماءَها ومَرْعاها** » . ومن هذا الماء تكونت البحار والمحيطات . ومن الماء خلقت الكائنات الحية جميعا . وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في أكثر من آية كريمة في سورة النور (٤٥) قال الله تعالى « **واللهُ خلقَ كلَّ دابةٍ من ماء** » وفي سورة فاطر (٢٧) « **أَلَمْ تَرَ أن الله أنزلَ من السَّماء ماءً فأخرَجْنا به ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً ألوانُها** » .

كما أن الجماد نفسه يحيا بالماء قال الله تعالى في سورة الروم (٢٤) « **ومِن آياتِهِ يُريكُم البَرْقَ خوفاً وطَعماً ويُنزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحيي بهِ الأَرْضَ بَعْدَ موتِها إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقَومٍ يَعْقِلونْ** » إذن فمن الماء خلق كل شيء في هذه الأرض ومصدر ماء الشرب هو ما ينزل من السماء من مطر أو برد فكيف يحدث ذلك ؟

ان حوالي ٧٠ ٪ من سطح الأرض يغطى بالماء ، وهذه النسبة تقارب نسبة الماء في جسم الإنسان ، فان حوالي ٧٠ ٪ من جسم الانسان يتكون من ماء . وبفعل أشعة الشمس ووجود الرياح معا يتكون بخار الماء ، واذا لم تكن الرياح موجودة ، فان بخار الماء سيظل على سطح البحر لا يتحرك أبدا تماما كذرات التراب إذا لم تأت الرياح لتثيرها ستظل على سطح الأرض . فالرياح هي التي تثير بخار الماء من على سطح البحار كما تثير الغبار على سطح الأرض . وتثير الرياح بخار الماء وتحمله الى أعلى حيث تقل درجة الحرارة في طبقات الجو

فيتكثف ويصير سحابا وصدق الله تعالى اذا قال في سورة الروم آية (٤٨) « **اللهُ الذي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحابا فَتبسُطه في السَّماءِ كَيْفَ يَشاء** » فانظر الى العلم الالهي كيف تثير الرياح ذرات البخار على سطح البحار فلولا الرياح ما أثيرت هذه الذرات ولما تكون بخار الماء أصلا والرياح تقل هذه السحب وتنقلها من مكان الى مكان ولولا نقلها لسقط المطر حيث تكون فوق البحار ولأصبح عديم النفع والجدوى واقرأ في سورة الأعراف آية (٥٧) قوله تعالى « **وهوَ الذي يُرسِلُ الرِّياحَ بشرا بَين يدي رَحْمتهِ حَتَّى إذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالا سُقْناهُ لبلد مَيْت فأنزَلْنا بهِ الماءَ فأخرَجنا بهِ من كل الثَّمرات** » وقال سبحانه وتعالى في سورة فاطر آية (٩) « **واللهُ أرسَلَ الرياح فتُثِيرُ سحابا فسُقْناهُ الى بَلَدٍ مَيْت فأَحْيينا به الأَرْضَ بَعْدَ موتِها** » .

اكتشف العلم الحديث اذن حقائق عديدة في نزول المطر فالرياح هي سبب اثارة بخار الماء من على سطح البحر وحمله الى طبقات الجو الأعلى ، حيث يصير **سحابا فتحمله الرياح من مكان الى مكان ، والرياح هي التي تحدث نزول المطر عندما يشاء الله تأتي من طبقات الجو العليا ذرات دقيقة من التراب فتحملها الرياح الى هذه السحب وتلقحها بهذه الذرات تلقيحا كما تلقحها أيضا بالذرات الكهربائية السالبة والموجبة بين السحب فتتجمع ذرات الماء حول كل ذرة من هذا التراب فتصير قطرات من الماء تنزل من هذه السحب مطرا (١) وتنزل فورا بعد التلقيح لأنه لا يمكن أن تظل قطرات الماء عالقة بالهواء بعد تكونها ولنقرأ في سورة الحجر آية (٢٢) قوله تعالى « وَأَرْسَلنا الرِيَاحَ لَواقِحَ فأَنْزَلناَ من السَّماء ماء فأسقَيْنَاكُموه وما أَنْتم لَه بِخازِنين » ونلاحظ الاعجاز العلمي الالهي في قوله تعالى « فأَنزلنا » ولم يقل « وأَنزلنا » فالواو تفيد مجرد الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في حكم واحد أما الفاء فتفيد السببية أو الترتيب مع التعقيب وذلك اشارة الى نزول المطر عقب عملية التلقيح مباشرة وهذا هو الذي توصل اليه العلم الحديث أيضا .**

كما أن إعطاء الرزق جاء مسبوقا بالفاء أيضا « **فأسقيناكموه** » إشارة الى أن الله تعالى يبادر عباده بالرزق ويعجل لهم به .

مَاء المطـــر

إن ماء الشرب أصله من ماء البحر ، وماء البحر مالح ، وماء المطر عذب ، فلقد أنزله الله تعالى من السحب ، وصفّاه وصيره عذبا فراتا ، بعد أن كان ملحا أجاجا .

واقرأ في سورة الواقعة (٦٨ – ٧٠) يمن الله تعالى على عباده بذلك .. يقول **« أفرأيتمْ الماءَ الذي تَشْرَبُون . أأنْتُمْ أنزَلْتُموه من المُزنِ أمْ نحنُ المُنْزِلون . لَو نَشاء جَعَلْناه أجاجاً فَلَولا تَشْكُرون »** والله تعالى قادر على ترك ماء المطر ماءً أجاجا .. واذا كان الله تعالى قد عقب قائلاً **« فلولا تشكرون »** فان ذلك يشير الى فضل منه تعالى ورحمة على عباده ، في صنع ماء المطر عذبا ، بعد أن كان ملحا أجاجا في ماء البحر .. جعله كذلك دون أن يبطل ناموسا من نواميس الخلق أو يعطل قانونا من قوانين الحياة فما هو السر إذن ؟ ..

ان حوالى ٨٠ ٪ من الهواء يتكون من غاز النيتروجين ، وغاز النيتروجين غاز خامل ، لا يتفاعل مع مادةٍ ولا يتحد بشيء . . ولكن هذا الغاز الخامل اذا مرت به شحنة كهربائية ، تحول الى غاز فعال يتحد بغيره من المواد . . فبمرور شحنة كهربائية في خليط من غاز النيتروجين الخامل والأوكسجين يصبح غاز النيتروجين غازا فعالا ويتحد بالأوكسجين ، مكونا بعض أكاسيد النيتروجين ، التي تذوب في الماء وتكوّن الأحماض النيتروجينية . . وقليلٌ من هذه الأحماض يُفسد طعم الماء ، ويجعله ماءً أجاجا .

وفي السحب التي تنزل منها الأمطار ، تمر الشحنة الكهربائية ، وتُفرّغُ هناك ، فتحدث برقا يكاد يخطف الأبصار ، في درجة حرارة عالية جدا تصل الى حد البياض . والنار البيضاء أكثر حرارة من النار الحمراء ، وتعطي نوراً وسناً . واقرأ الاعجاز في العلم الالهي في سورة النور (٤٣) **« ألَم تَر أنَّ الله يُزْجي سحاباً ثُمَّ يُؤلِّفُ بَيْنه ثُمَّ يَجْعلهُ رُكاماً »** . وهذه هي الصفاتُ الأساسية في السحب

الركامية ، التي ينزل المطر من خلالها . . ولا ينزل المطر من غيرها من السحب أبدا ولنقرأ الآية الكريمة (٤٣) من جديد لتزداد نوراً وعلما « ألَم تَرَ أن الله يُزْجي سحاباً ثمَّ يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودقَ يخرُجُ من خلاله . وينزلُ من السَّماء من جبال فيها من برد فيُصيبُ به من يشاء ويَصْرفه عمَّن يشاء يكادُ سنا بَرْقه يَذْهبُ بالأبصار » .وهذا تماما ما استطاع العلم البشري الحديث أن يصل اليه ومرور الشحن الكهربائية وتفريغها في السحب الركامية ، يكوّن الأحماض النيتروجينية ، وذلك باتحاد النيتروجين الفعّال بالأوكسجين . واذا نزل المطر بعد ذلك فسينزل ماء وبه هذه الأحماض ، فيكون ماء المطر فاسدا . . ماء أجاجا لا يصلح للكائنات الحية على الأرض . ولكن ماذا حدث وجعل ماء المطر عذبا ؟ لا بد أن عملية التفريغ الكهربائي قد تكيفت بطريقة لا تُحدث أحماضا نيتروجينية وحتى اذا حدثت ، فلا تختلط بماء المطر . وهكذا تدخلت العناية الالهية في تكوّن ماء المطر وحالت دون اختلاط ماء المطر بما يفسد طعمه . . وفي ذلك منّة كبرى من الله تعالى على عباده من أجل ذلك عقب بقوله في سورة الواقعة (٦٨ - ٧٠) « فَلَوْلا تَشكُرون » تقول الآية الكريمة « أفرأيْتُم الماءَ الذي تَشْرَبون . أأنْتُم أنزلتموهُ من المُزْنِ أم نحن المُنزِلون . لو نشاءُ جَعلناهُ أجاجاً فلولا تشكرون » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا شرب الماء قال : الحمد لله الذي سقاناه عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا .

والماء يدور دورة هائلة مستمرة لا تنتهي ، بين ماء البحر وماء المطر ، فالأنهار، فالأرض . ثم يتبخر فيصير سحابا مرة أخرى . . ولا تنقص كميةُ الماء قطرةً واحدة في كل هذه الدورة . فما تمتصه الأرض من ماء تخرجه آبارا وعيونا . . ويعود الماء الى حيث كان في السحب ، بعد أن يكون قد أدى المهمة التي عهد بها خالقه جل جلاله اليه ، عندما أنزله الى الأرض .

والانسان اذا تبخر منه أو من أرضه ماء ، فهو لايستطيع أن يسترده ، ولا يستطيع له تخزينا .. أما الخالق سبحانه ، فهو يعطي الأرض ومن عليها

ماءً عذبا ، ثم يسترده بعد ذلك . . أما الانسان فهو لايستطيع أن يختزن من الماء شيئا . . ونقرأ في سورة الحجر (٢١-٢٢) قوله تعالى « وإن مِن شيءٍ إلا عِندنا خزَائنُه وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لَوَاقح ، فأنزلنا من السَّماء ماءً فأسقيناكموه . وما أنتم له بخازنين » .



وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ

« أوَلَم يَرَ الذينَ كفَروا أنّ السَّماواتِ والأرضَ كانَتا رتقاً ففتقناهُما وجَعَلنا مِنَ الماءِ كلَّ شيءٍ حي أفلا يؤمِنون » (الأنبياء ٣٠).

ان الله تعالى بدأ خلق الخلق من الماء . . وجسم الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات يتكون معظمه من ماء . . معظم الخلية من ماء . . كما أن خلايا الجسم جميعاً يحيط بها الماء من خارجها أيضا . ان جسم الانسان العادى البالغ الذي يزن ٦٠ كيلوجراما به ٤٠ كيلوجراما من الماء . . يعني ثلثا وزن الجسم من الماء . .

وللماء الأهمية العظمى في الخلق كله . . ويقول الله تعالى في سورة الأنبياء عن الماء « **وجعلنا من الماء كل شيء حي** » وهذه آية تدعو الى العجب حقا . . فلو تدبرنا معناها للمسنا قدرة الخالق العظيم وابداعه لخلقه . . فكلمة « جعلنا » غير كلمة « خلقنا » في الآيات التي تتحدث عن الخلق من الماء مثل قوله تعالى « **والله خلق كل دابة من ماء** » وقوله تعالى « **وهو الذي خلق من الماء بشرا** » .

وكلمة – جعلنا – في الآية الكريمة « **وجعلنا من الماء كل شيء حي** » **تفيد الشمول . . فهي تفيد الخلق مقترنا بصفاتٍ أخرى في الماء من شأنها جعل الخالق استمرار الحياة من الماء . . ليس للانسان فحسب ، وليس للكائنات الحية فقط . . ولكنها للمخلوقات جميعا . . بما فيها الأرض ،** في سورة النحل يقول الله تعالى « **والله أنزلَ من السماءِ ماءً فأحيا به الأرض بعد موتِها** » فجعل الله من الماء كل شيء حي « **وجعلنا من الماء كل شيء حي** » .

فما هي هذه الصفات التي بثها الخالق العظيم في الماء وجعل من شأنها الحياة لكل شيء في هذه الأرض ؟

ان كل المواد التي في **الأرض اذا ارتفعت** حرارتها زادت في الحجم وقلت

في الكثافة ، واذا بردت قلت في الحجم وزادت في الكثافة . . كل المواد يحدث لها نفس الشيء الا الماء . . فالماء هو المادة الوحيدة من بين المواد جميعا أنه إذا برد تجمد وصار في الحجم أكبر وفي الكثافة أقل . .

وهكذا انفرد الماء بهذه الصفة العجيبة التي لولاها لما أصبح أي شيء على الأرض حيا .. فعندما يتجمد الماء في الشتاء يصير ماء البحر جليدا .. ولو كان الماء مثل المواد الأخرى يزداد كثافة اذا برد ويقل حجما .. لهبط الجليد الى قاع البحر وترسب هناك .. فيتجمد السطح من جديد ويترسب الجليد الجديد ، ويتجمد السطح وهكذا حتى تتحول مياه البحار الى كتلة من الجليد وتنعدم المياه السائلة ، فتنعدم الحياة في البحار ، وتنعدم الأمطار فتجف الأنهار وتجف الأرض ويموت الأخضر واليابس . وهكذا تنتهي الحياة في البر والبحر جميعاً .

ولكن الله تعالى جعل الماء ينفرد بصفة مختلفة عن باقي المواد فهو عندما يتجمد تقل كثافته ويزيد حجمه ويطفو على سطح الماء ، وبذلك يصير طبقة عازلة بين الجو البارد والماء الدافئ تحت السطح الجليدي .. هنالك يحتفظ ماء البحر بدفئه ويظل سائلا.ومهما برد الجو ، فالسطح الجليدي يحميه .. وهكذا تستمر الحياة في البحار ، وتستمر الأمطار ، وتستمر الحياة في كل شيء . المواد كلها سريع أما الماء فبطيء .. فان لجزيئاته تركيب كيماوي عجيب ودقيق بسرعة وتفقدها بسرعة .. فاذا عرضنا أية مادة للحرارة ارتفعت حرارتها ، واذا بعدت عن الحرارة انخفضت حرارتها . . فارتفاع الحرارة وهبوطها في المواد كلها سريع أما الماء فلا . . فان لجزيئاته تركيب كيماوي عجيب ودقيق يدل على اعجاز الخالق ، من شأنه أن يكتسب الماء الحرارة رويدا رويدا . . واذا هو اكتسبها فهى لا تفقد منه إلا شيئا فشيئا . ولطّف بذلك جو الأرض وجعله معتدلا مناسبا للحياة . . ولولا مياه البحار لارتفعت الحرارة أثناء النهار الى أكثر من مائة درجة مئوية ولانخفضت في الليل الى مائة درجة مئوية تحت الصفر . . كما يحدث في الكواكب التي لا تحتوي على بحار ومحيطات

وجسم الانسان مكون من خلايا ، وتعيش الخلايا بواسطة نشاط آلاف

عديدة من العمليات الكيماوية . . وهذا النشاط الحيوي في خلايا الجسم لا يتم الا في وسط حرارة معينة لا يزيد عنها ولا يقل الا قدرا يسيرا.فلا بد أن يكون الجسم مصنوعا من مادة لا تفقد الحرارة ولا تكتسبها الا ببطء شديد وبقدر يسير. . وليس هناك من مادة لها نفس هذه الخواص إلا الماء . . لذلك خلق الله تعالى جسم الانسان وثلثيه من الماء . . ولو لم يكن الماء موجودا في جسم الانسان ، لزادت حرارته الى درجة الغليان تارة،ولهبطت الى درجة التجمد تارة أخرى. وحينئذ يتوقف النشاط الحيوي في خلايا الجسم ولا تكتب له الحياة .

وهكذا جعل الله تعالى الماء منفرداً بصفات لا توجد في مواد أخرى جعل من شأنها الحياة للكائنات جميعا وصدق الله تعالى إذ قال « وجعلنا من الماء كل شيء حي »



أنواعُ الخَلقِ لَيسَت مِن نَوعٍ وَاحِد

ان أية نظرية علمية اذا عارضت ما جاء بالقرآن الكريم فسيأتي اليوم الذي يصل فيه العلم البشري الى مستوى أعلى تبين له أن النظرية كانت على خطأ . وأن

القرآن كان وسيظل دائما هو الحق وهو الصحيح

وهذه نظريات التطور لداروين ولامارك وهكسلي وسبنسر ودالاس وغيرهم التي زعمت أن جميع أنواع الخلق نشأت من نوع واحد في الماء وتطورت بعد ذلك الى أنواع من المخلوقات مختلفة ومتباينة . .

ان نظريات النشوء والتطور لداروين وغيره كانت أساسا لنظريات التطور في العلوم الاجتماعية التي ظهرت على يد كارل ماركس ومن سبقوه ومن اتبعوه . . ونظريات التحليل النفسي على يد فرويد وأقرانه . . كل هذه النظريات عارضت ما جاء بالقرآن الكريم . . لأن القرآن أكد أن كل نوع من أنواع المخلوقات نشأ من أصل مميز له . . وأن التطور قد حدث ويحدث ولكنه لا يغير نوع الخلق . . فالنشأة في الخلق متنوعة منذ البداية . . والتطور لم يغير الأنواع فيه . .

وكان من أهم الأسس التي اعتمد عليها داروين ومن ساروا على دربه المشاهدات وعلم الوراثة . . ولا يوجد دليل علمي يطمئن اليه.على أن التطور في الشكل تقرره البيئة السابقة على الولادة في الانسان أو الحيوان . . وإنما الذي يقرر ذلك فهي العوامل الوراثية في الخلايا . . وعلم الوراثة لم ينشأ كعلم على أسس صحيحة الا بعد وفاة داروين

وهكذا اعتمد داروين على علم لم يكن قد نشأ على أساس قوى بعد . . وعندما قام على الوراثة على أسس صحيحة وحقائق علمية ثابتة أكد صدق ما جاء بالقرآن الكريم .

كما أن تنازع البقاء لا يؤدى الى اختفاء الأنواع كما زعمت تلك النظريات . فان قانون التوازن الحيوى بين المخلوقات يمنع ذلك . . ولم نر اكتشافا علميا أو مشاهدة علمية أكدت أن الحصان كان كلبا كما زعموا،أو أن الانسان كان قردا . . واذا كان الأمر كذلك فما بال الكلب اليوم لم يتحول الى حصان،وما بال القرد اليوم لم يتحول الى انسان .؟

لن أدخل في نقاش في اثبات خطأ بعض ما جاء في نظريات التطور . . ولكني أحب أن أتحدث عن قانون الوراثة الذي استند اليه داروين ولامارك وهكسلى وغيرهم من أن الانسان كان قردا . . وعارضوا القرآن الكريم الذي أكد أن القرد نشأ منذ بدء خلقه قردا.وان الانسان نشأ منذ بدء خلقه انسانا .

نشأ علم الوراثة كعلم على أسس صحيحة في النصف الأخير من القرن الماضي فقط على يد جريجوري مندل . واكتشف العلم أن العوامل الوراثية في كل كائن حي،متراصةً بجوار بعضها البعض كما تتراص الكتب على الأرفف،وذلك في صبغيات في نواة كل خلية حبة تسمى « الكروموسومات » . فالكروموسوم هيكل حلزوني يحمل العوامل الوراثية في نواة خلية كل المخلوقات الحية من انسان وحيوان ونبات . وكان مورجان هو الذي أثبت ذلك في ذبابة الفاكهة ومنح لأجل ذلك جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٣٤. وفي سنة ١٩٥٣ استطاع واطسون وكريك أن يثبتا أن العوامل الوراثية موجودة بحالة مزدوجة على طرفي الهيكل الحلزوفي المكون للكروموسوم . كما أثبتنا أن العامل الوراثي يتكون من تركيب كيمائي في بناء ذري في غاية الدقة ، يطول الحديث فيه ، ويدل على روعة الخلق ودقته التي تفوق تصور العقول . اذن فمادة الخلق من المخلوقات جميعا واحدة – وهي التركيب الذري للعامل الوراثي – ونظام الخلق في المخلوقات الحية كلها واحد . . وهي حقائق لم يعرفها داروين وزملاؤه . . وكيف يعرفونها وداروين مات سنة ١٨٨٢ ولم تظهر هذه الحقائق للعلم البشري الا منذ سنة ١٩٥٣ أي بعد وفاة داروين بأكثر من سبعين عاما . . اذن فهناك أسرار علمية في نشأة الخلق لم يعرف بعضها الا حديثا.ونقرأ في سورة العنكبوت (١٩ – ٢١)

قوله تعالى : « **أَوَلَم يَرَوا كَيْف يُبدئ الله الخَلْقَ ثمَّ يُعيده ، إنَّ ذلك على الله يَسير . قُل سيروا في الأرضِ فانْظُروا كيفَ بدأ الخلق** » انها دعوة للمشاهد ، وحث على التعلم والبحث ، لمعرفة كيف بدأ الخلق في المخلوقات جميعا .. وكلمة « **كيف** » تشير الى نظام الخلق ومادته وكلمة « **الخلق** » مطلقة فلم يخصص الله خلقا معينا .. وإنما قال « الخلق » باطلاق الكلمة . وكأن الله تعالى يقول لنا « تعلموا لتفهموا نظام الخلق الواحد الذي خلق منه الخلق كله » ... وهكذا قرر القرآنِ الكريم ما توصل اليه العلم الحديث من أن نظام الخلق للمخلوقات جميعا واحد . وأن مادة الخلق واحدة .

وفي الوقت الذي ادعى فيه داروين وزملاؤه أن كل المخلوقات نشأت من نوع واحد في الماء ، أكد القرآن قبل داروين بثلاثة عشر قرنا تعدد أنواع المخلوقات .. وهذا ما أكده وأثبته العلم الحديث وانتصر له العلماء منذ حوالي عشرين عاما فقط ؛ عندما اكتشف التركيب الجيني للانسان سنة ١٩٥٦ وكان مختلفا عن باقي المخلوقات الأخرى ..

اذن فالمخلوقات خلقت من الماء وليست في الماء ، وأنها نشأت منذ بدء الخلق أنواعا متفرقة كما دلل على ذلك علم الوراثة الحديث .. ونستمع الى سورة النور (٤٥) تبين تنوع أصل المخلوقات يقول تعالى « **والله خلقَ كُلَّ دابَّةٍ مِن ماءٍ . فمِنْهُم مَنْ يَمْشي عَلى بَطْنِه ومِنْهم مَنْ يَمْشي على رِجلين ومِنْهم من يَمشي على أَرْبَع . يَخْلُق اللهُ ما يَشاء إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير** »

واقرأ وتمعن في قوله تعالى في سورة فاطر يبين نفس الحقيقة العلمية التي عارضها علماء نظريات التطور وجاء العلم الحديث وأكد صحة ما جاء في القرآن الكريم . . اقرأ قوله تعالى في سورة فاطر (٢٧-٢٨) « **أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ أنزَلَ من السَّماءِ ماءً فأخْرَجْنا به ثَمراتٍ مُختلِفاً ألوانُها . ومِن الجبال جُددٌ بيضٌ وحُمرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيب سُود . ومن الناسِ والدَّواب والأنْعام مُختلفٌ ألوانه كذلكَ إنما يَخْشى الله من عبادِه العلماء . إنَّ الله عزيز غفور** » .
انظر الى الوصف التجريدي للجمال في الخلق كله . . جمال الألوان المتعدد مع اختلاف الوظيفة والهدف .

خلق الجبال[1]

تذكر الجبال في القرآن الكريم مع ذكر السموات والأرض مما يدل على أن هناك أسرارا كبيرة أودعها الخالق تعالى في الجبال تدل على عظمة الخلق وروعته . ولن يكتشف العلم الحديث من أسرار الجبال حتى يومنا هذا إلا شيئا يسيرا . ولا زالت الجبال قائمة في الأرض تحمل أسرارها الكبيرة . ولنقرأ قوله تعالى في سورة النازعات (٣٠-٣٢) **« والأرضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها أَخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرعاها والجبالَ أَرْساها »** وقوله تعالى في سورة الأحزاب (٧٢) **« إنَّا عَرضنا الأَمانَةَ على السَّموات والأَرضِ والجبالِ فأبينَ أنْ يَحمِلْنها وأَشْفقْنَ مِنها وحملها الإنْسانُ إنَّه كانَ ظَلوما جَهولا »** .

وقد اكتشف العلم حديثا جدا أن القشرة الأرضية تتفاوت في السمك ، فهي تحت البحار سمكها حوالي خمسة كيلو مترات ، وهي تحت الجبال أكثر من ٣٠ كم . والقشرة الأرضية الخارجية كثافتها قليلة نسبيا ، ومن تحتها توجد طبقة كبيرة من الصخور والغازات المصهورة . وكثافة هذه الطبقة السائلة عالية جدا ، أكثر بكثير من كثافة القشرة الأرضية . وما دام الأمر كذلك ، فالقشرة الأرضية بما عليها من قارات ومحيطات ، مثلها كمثل السفينة التي تسبح فوق ماء البحر فمن الممكن أن تتقاذفها الأمواج وتعبث بها ، ومن الممكن أن تترنح السفينة وتميد بمن عليها . فلماذا لا يحدث ذلك للقشرة الأرضية ؟

لقد اكتشف العلم سنة ١٩٥٦ فقط سرا خطيرا في الجبال ، وهو أن الجبال امتدادات وجذورا عميقة صلبة غير منصهرة تمر خلال الطبقة السائلة في باطن الأرض حتى تصل الى طبقة صلبة تحتها . وطول هذه الجذور عشرات الكيلومترات تحت الأرض ، وهذه تمسك بالقشرة الأرضية بقوة وتثبتها وتمنع ميلها أو ترنحها أو غرقها في الطبقة السائلة المنصهرة . فان الجبال بما لها من جذور عميقة لا تطفو فهي راسية تماما على طبقات صلبة تحت الطبقة السائلة في الأرض . هذه

(١) الاسلام في عصر العلم للدكتور محمد الغمراوي

اكتشافات علمية ظهرت سنة ١٩٥٦ فقط ولكن القرآن الكريم سبق الى بيانها في قوله تعالى « **والجبالَ أرساها** » ولقد سماها القرآن الكريم بالرواسي فقال تعالى في سورة الرعد (٣) « **وهو الذي مدّ الأرْضَ وجَعَلَ فيها روَاسيَ وأنهاراً** » . وبين تعالى كيف تثبت الجبال الأرض بقوله في سورة النحل (١٥) « **والقى في الأرْضِ رواسيَ أن تَميدَ بكم وأنهارا** » وفي سورة الأنبياء (٣١) « **وجَعَلنا في الأرْضِ رواسيَ أن تَميدَ بهم** » وفي سورة لقمان (١٠) « **وألقىَ في الأرْضِ رَواسيَ أن تَميدَ بكم** » .

وهكذا فالجبال تثبت القشرة الأرضية التي نعيش عليها ذات الكثافة الصغيرة وتحفظها من أن تميد بمن عليها بسبب الطبقة السائلة تحتها ذات الكثافة العالية ، فتمسكها كما تمسك الأوتاد بالخيمة تماماً . والجبال أوتاد قوية حقا تمسك بالقشرة الأرضية وتثبتها . من أجل ذلك وصف القرآن الكريم الجبال والأوتاد في قوله تعالى في سورة النبأ (٦ – ٧) « **ألمْ نَجعَل الأرضَ مهادا والجبالَ أوتادا** » . وهذه الآية الكريمة الوحيدة التي ذكرت كلمة « الأوتاد » .

والجبال الشامخة اذا اعترضت مرور السحب فانها تصطدم بها وتدفعها الى الصعود الى طبقات الجو العليا الباردة ، فتتراكم وتتكشف وتبرد وتصير مطرا أو بردا . فالجبال اذن سبب من أسباب نزول المطر أو البرد . لذلك نجد أن الجبال منابع للأنهار في الأرض .. فلا ينبع نهر إلا من جبل .. ولا يوجد بالجزيرة العربية جبل ينبع منه نهر وذلك لأسباب خاصة .. فأهل الجزيرة العربية لم يروا ذلك ولم يعلموه وقت نزول القرآن .

لكن القرآن الكريم نزل وعلم الناس هذه الحقيقة فجاء ذكر الجبال وذكر المطر والأنهار بعدها ، مشيرا الى الصلة الوثيقة بين الجبال والأنهار وأهمية الجبال في تكون الأنهار ، وما ينتج عن ذلك من حياة للمخلوقات جميعا . قال الله تعالى في سورة الرعد (٣) « **وهو الذي مَدَّ الأرْضَ وَجَعَلَ فيها رَوَاسيَ وأَنْهارا** » . وقال تعالى في سورة المرسلات (٢٧) « **وجَعَلنا فيها رَوَاسيَ شامخاتٍ وأَسْقيناكُم ماءً فُراتا** » وفي سورة النحل (١٥) « **وألقى في الأرضِ رَواسيَ أن تَميدَ بِكُم**

وأنهارا » فالجبال إذن أوتاد للأرض تمسكها وتثبتها ولولاها لمادت الأرض ولهبطت بمن عليها . والجبال منابع للأنهار .. ولولاها لما تكون نهر ولما قامت حياة . فما أعظم أهمية الجبال في الأرض . من أجل ذلك جاء ذكرها مع السموات والأرض في القرآن الكريم . ولكن هل اكتشف العلم البشري كل أسرار الجبال ؟ كلا إنه لم يكتشف منه الا القليل ، ولا زالت الجبال شامخة باذن ربها بما فيها من قوة وأسرار .



البحار

المصدر الأصيل للماء العذب هو ما ينزل من السماء من مطر أو برد . . والسحب ليست نوعا واحدا . . وأحد أنواعها هي السحب الركامية . ولقد اكتشف العلم الحديث أن المطر والبرد لا يحدثان الا في هذه السحب الركامية وقد ذكر ذلك في سورة الروم (٤٨) في قوله تعالى : « **اللهُ الذي يُرسِلُ الرياحَ فتثيرُ سحاباً فيبسُطه في السَّماء كيف يشاء ويجعلُهُ كسفاً فترى الودقَ يخرج من خلاله** » .

وهناك بعض الاختلاف بين تكون المطر والبرد . . فبعد أن تلقح الرياح هذه السحب بذرات التراب والشحن الكهربائية ، تتكون قطرات الماء . . ولكن عندما تكون السحب الركامية هائلة الحجم جدا ، تصبح كالجبال حجما وشكلا ، فان أعلاها يكون في طبقات من الجو باردة جدا،مما يجعل قطرة الماء ثلجا . وهكذا يتكون البرد في أعلى طبقات.السحب الركامية الهائلة الحجم وينزل من خلال هذه الجبال من السحب وفي أثناء نزوله تكبر قطع البرد في الحجم ، وتنزل من السماء الى الأرض . وهذا اكتشافٌ علمي حديث لكن القرآن الكريم ذكره تفصيلا في سورة النور (٤٣) في قوله تعالى : « **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحابا ثم يُؤَلِّفُ بينه ثمَّ يجعلُهُ رُكاماً فترى الوَدقَ يَخرُجُ من خِلالِـهِ ويُنزِّلُ من السَّماءِ مِنْ جبالٍ فيها من بَردٍ فيُصيبُ به مَنْ يشاءُ ويَصرِفُهُ عمَّن يشاءُ** » فانظر الى هذا الإعجاز في العلم الإلهي .. وانظر الى ذكر السحب الركامية الضخمة التي هي أشبه بالجبال حجما وصورة ومنظرا . . إنها هي تلك السحب دون غيرها التي فيها يتكون البرد .

والبحار تحتل ٧٠ ٪ من سطح الكرة الأرضية . . وجعل الله من الماء خلق الكائنات جميعا كما أن للماء صفات أخرى كثيرة من شأنها الحياة واستمرارها على هذه الأرض ولذلك حديث آخر . .

وقد يظن أن مياه البحار لو كانت عذبة لتوفرت المياه،وازدهرت الزراعة في كل مكان،ولما أصبح أي مكان في الأرض قحلا . . ولكن الحقيقة غير ذلك .. فلو كان ماء البحر عذبا لانتهت الحياة من على وجه الأرض . . فالملح الذي جعله الخالق تعالى في ماء البحار منع تعفنه . . ومنع تكاثر الميكروبات والطفيليات فيه .. وحفظ أجسام الحيوانات البحرية الميتة من التعفن . فلولا الملح في البحر لأنتن الماء . . ولفسد الجو في الأرض كلها . . وبذلك ظل ماء البحر من الناحية العلمية نقيا طهورا . . ومن الاعجاز العلمي في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن البحر قال « **هو الطهور ماؤه . الحل ميتته** » ولما كان ماء المطر من ماء البحر ، فلا بد أن يكون مثله ماء طهورا .. ونقرأ ذلك في سورة الفرقان (٤٨) « **وهو الذي أرسَلَ الرياحَ بشْرا بين يدي رَحْمتِه وأنزلنا مِنَ السَّماءِ ماءً طهورا** » وفي سورة الفرقان (٥٣) أيضا قال تعالى « **وهوَ الذي مَرَجَ البحْرَينِ هذا عذبٌ فراتٌ وهذا مِلحٌ أُجاج** » وفي سورة فاطر (١٢) « **وما يَستوي البَحْرانِ هَذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُهُ وهذا مِلحٌ أُجاج** » .

وللماء خواص أخرى عجيبة .. فالمياه المختلفة لا تختلط أبدا .. فالماء العذب في الأنهار التي تصب في البحار ، لا يختلط بماء البحر المالح ، وهذا ما يمنع ملوحة ماء الأنهار .. فماء نهر الأمازون الذي يصب في المحيط الأطلنطي يظل غير مختلط بالماء المالح لمسافة مئات الأميال .. وماء شط العرب يندفع داخل مياه الخليج المالحة لمسافات طويلة .. فلو لم تكن في الماء خاصية عدم الاختلاط لاختلط ماء البحر المالح بماء النهر ، ولصار ماء النهر ماء أجاجا . بل إن المياه المالحة نفسها لا تختلط بمياه تختلف عنها في درجة الملوحة .. فماء البحر الأبيض المتوسط يخرج من مضيق جبل طارق ويدخل في مياه المحيط الأطلنطي متجهة الى قاعة ولا تختلط بمائه الى مسافات طويلة .. وجعل الخالق سبحانه هذه الخاصية ليظل ماء النهر محتفظا بعذوبته ويؤدي وظيفته التي خلقه الله تعالى من أجلها . . وفي هذه الصفة العجيبة في الماء يقول الله تعالى في سورة الرحمن (١٩ — ٢٠) « **مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلتَقِيانْ بَيْنَهما بَرْزَخٌ لا يَبغيان** » فلا يبغي ماء بحر على ماء بحر آخر ، أو على ماء نهر من الأنهار ، ونقرأ قوله تعالى في سورة الفرقان (٥٣)

« وهوَ الذي مَرَجَ البحرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وهذا مِلْحٌ أُجاج وجَعَلَ بَينَهما بَرْزَخاً وحِجْراً محجوراً » .

وفي سنة ١٩٧٣ فقط اكتشف العلم بواسطة الأقمار الصناعية ، أن الأمواج لا تحدث فوق سطح البحار فحسب ، ولكنها تحدث في باطن البحار العميقة أيضا .. والأمواج التي تحدث في باطن البحار العميقة هي أكبر حجما من التي تحدث فوق سطحها .. وقد تكون هائلة الحجم جدا ، فقد تكون في حجم جبل من الجبال .. ولكنها لا تظهر لنا أمام أعيننا لأنها تحت سطح المحيط . ولم يصل علمنا الحديث الى معرفة السبب في تكوين تلك الأمواج الهائلة في باطن المحيط ولا عن فوائدها .. والماء من طبيعته أن يفتت ضوء الشمس .. فيضعف الضوء كلما ازداد في العمق .. واذا كان البحر عميقا جدا كان القاع مظلما .. فقاع المحيطات مظلم تماما ، بل انها ظلمات بعضها فوق بعض .. بها أمواج داخلية وأمواج خارجية فوق سطحها .. وفوق سطح البحر يحدث بخار الماء ، ويطفو على السطح ، الى أن تثيره الرياح ، فيصعد في الجو بخارا أو سحابا . انها معلومات اكتشفها العلم حديثا جدا ولكن القرآن يبين كل شيء ، ويحيط بكل ما يستطيع أن يصل اليه الانسان في كل عصر من العصور ، من حقائق علمية حيث يقول تعالى في سورة النور (٤٠) **« أو كَظُلُماتٍ في بَحْرٍ لُجي يغْشاهُ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُماتٌ بَعضُها فَوْقَ بَعضٍ إذا أَخْرَج يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها »** . فانظر الى الاعجاز في العلم الالهي كيف يحيط بكل ما نصل اليه من الحقائق العلمية في أي مكان وفي أي زمان وصدق الله تعالى اذ قال **« سَنريَهُم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حَتى يَتَبينَ لهُمْ أنّه الحق »** .





المراجع

١ – القرآن–القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر للاستاذ محمد العفيفي
٢ – في ظلال القرآن للاستاذ سيد قطب
٣ – تفسير بن كثير
٤ – القرآن في عصر العلم للدكتور محمد الغمراوي
٥ – سنن الله الكونية للدكتور محمد الغمراوي
٦ – الطب محراب الايمان للدكتور خالص كنجو
٧ – العسل للاستاذ محمد نزار الدقر
٨ – كتاب الطب الشعبي للدكتور جارفيس تعريب أمين رويحه
٩ – الطب النفسي المعاصر للدكتور أحمد عكاشة
١٠ – الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان

— Manson,s Tropical Medicine (Manson - Bahr)
— Honey for Health (Cecil Tonsley)
— Chemical pharmecology (Laurence)
— Chemical Neurophysiology (J. A. R. Lenman 1975)
— Principles of Internal Medicine (Harrison)
— Clinical pysiology (Compbell Dickinson)
— Pathology for Physicians (Boyed)

الفهرس

الباب الخامس (الموت والحياة)

الباب السادس (خلق الكون)

تصحيح الاخطاء الواردة

الصفحة	الخطـــا	الصـــواب	السطر
٨	الامطار	الافكار	٨
٨	كما قوله	كما في قوله	١٠
٨	آخرا	آخر	١٥
١٥	انفُسُهم	انفُسَهم	٦
١٧	والموتودة	والموقوذة	٢١
٢٥	جميعا	حميما	١٥
٣٦	جهازا	جهاز	السطر الاخير
٤٠	ينزعك	ينزغنك	١٠
٤٥	السطر الاول	مكانه في آخر المقال	
٥٦	اضرار	من اضرار	١٣
٦٢	نبتليهُ	نبتليهِ	١٢
٦٧	احسن	احسن	٦
٧٧	نبتليَه	نبتليهِ	١٨
٨٢	تعرف	يعرف	٢٢
٨٢	الانتاج	الامشاج	٢٣
٨٣	كلَّ	كلُّ	١٧





طبع في مطابع الانباء

٧٥٠

هذا الكتاب

- عرض للحقائق العلمية في العلوم الطبية وغيرها مع بيان السبق العلمي بالقرآن مصداق قوله تعالى «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»

- محاولة لبيان الاعجاز العلمي في القرآن في بعض العلوم الطبية وكيف أن القرآن جاء بحقائق علمية لم يعرفها الانسان الا بعد قرون وقرون .

- استعراض موجز لبعض النظريات العلمية وقت نزول القرآن وكيف أنها بعدت عن الصواب .. في الوقت الذي نزل فيه القرآن بنور الحق واليقين ..

- رد على مزاعم الملحدين الخاطئة التي تدعي ظلما وجهلا أن الاسلام ضد العلم والعلماء ..



دكتور احمد شوقي ابراهيم

- تخرج من كلية الطب جامعة القاهرة بكالوريوس الطب والجراحة سنة ١٩٥٣

- حصل على دبلوم الدراسات العليا في طب المناطق الحارة من انجلترا

- حصل على درجة عضوية كلية الأطباء الملكية بلندن

- يعمل مستشارا للأمراض الباطنية بوزارة الصحة العامة بالكويت .

- له خمسة عشر بحثا علميا طبيا نشر بالمجلات الطبية العربية والأجنبية .. والقى بعضها في المؤتمرات العلمية الطبية المختلفة .